



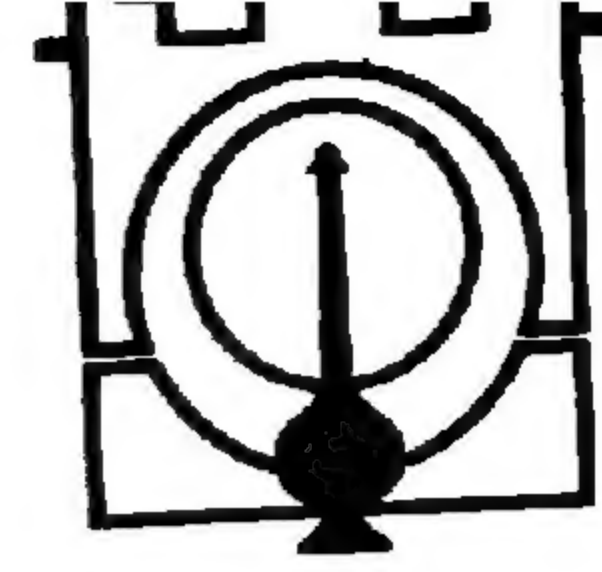






بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مركز التراث الشعبي  
للدول الخليج العربي



# الفَصْلُ الشَّعْبِيُّ فِي قَطْرٍ

الجزء الأول

١ / محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب



## المقدمة

لقد بدأت الدراسات الخاصة بالأدب الشعبي على أيدي الرواد من الباحثين الذين مهّدوا لهذه الدراسة ، وفتحوا مجال البحث فيها للأجيال التالية . فالبلاط العربية شاسعة ، وذات تراث شعبي خصب يحتاج إلى جهد غير باحث متخصص يقيم في منطقة من هذه البلاد ويعيش فيها ويولي الدراسات الشعبية كل جهده .

وقد تخصصت في دراسة الأدب الشعبي في منطقة قطر ، فأقمت فيها وعكفت على دراسة الأغنية الشعبية ، ونلت بها درجة الماجستير ، وحيث أنني أنوي استقصاء الدراسات الشعبية في هذا المكان ، فقد قررت أن أختص بجانب آخر من جوانب التراث الشعبي ، وهو القصص الشعبي آملاً أن أدرس باقي هذه المواد فيما بعد .

وسيكون لشعب قطر وبنيتة ، الاعتبار الأول في دراستي ، فهو شعب يتكون في معظمه من قبائل عربية ، انتقلت من الجزيرة العربية ومن نجد بالذات واستقرت في هذا المكان ، ومن قبائل عربية انتقلت من الساحل الإيراني إلى الساحل القطري ، وهم ما يطلق عليهم اسم الهولة أو الحولة ، أي الذين تحولوا من ساحل إيران إلى ساحل قطر .

لقد حملت هذه القبائل وتلك ، معها فنونها وآدابها الصحراوية والبحرية ، وتفاعلت مع الهيئة الجديدة فنتج خلقاً جديداً من التراث عُرف باسم التراث الشعبي الخليجي ، بخصائصه وقسماته المميزة .

وقد احتكّ هذا التراث بالوافد عليه فتأثر وأثر فيه مدأً وجزراً ، مما جعل لهم تراثاً ثرياً من القصص الشعبي الذي استمعت إلى كثير منه في أثناء عملي الميداني . ووفقاً لمعلوماتي في هذا البحث فليست أعرف أحداً تقدّم لهذا الموضوع وطرقه من قبل لا جمعاً ولا دراسة .

لهذا فسوف لا يقتصر عملي على جمع القصص الشعبي فحسب ، بل التعرف على الراوي الذي يروي هذه القصص ومهمته في استمرار هذا التراث الشعبي وفي تطويره وتغييره ، كما يجب عليّ أن أقوم بمعايشة صادقة لمناسبات القصص المختلفة التي يروي فيها القصص الشعبي ، وأعرف مدى استجابة المستمعين لهذا الراوي في هذه المناسبة أو تلك ، وألاحظ انفعالاتهم التي يترجمها إعجابهم أو عدم إعجابهم حينما يطلقون عبارات يعبرون بها عن شعورهم .

وهذا العمل الميداني يشكّل في الحقيقة الجزء الأول من بحثي . ويقوم الجزء الثاني على دراسة محتوى القص من ناحية، ودراسة فنية جمالية من ناحية أخرى .  
وعليه فمنهجي في دراسة القصص الشعبي واضح جليّ ، يقوم على المواجهة المباشرة لمصادر الدراسة والاهتمام بجمع المادة السمعية من الرواة الثقات ، من أبناء المنطقة ذوي التجربة والخبرة والباع الطويل في هذا الميدان .  
ولقد اعتمدت أكثر ما اعتمدت على كبار السن من الجنسين ، فهم مصدر القص في المنطقة ، والينبوع الثر الغزير له .

كما اعتمدت على رجال البحر ، فاختلفت إلى مجالسهم الخاصة والعامة ، في أوقات معينة ، وأخذت عنهم الكثير الكثير . فهم قد تمرّسوا طويلاً بحياة البحر والغوص على اللؤلؤ وصيد السمك ، ثم اعتمدت أيضاً على طلاب المدارس الإعدادية والثانوية وطلاب جامعة قطر من الجنسين ، فكانوا يأخذون القصص من آبائهم وأجدادهم وأمهاتهم وجدّاتهم ويسجلونها ، ومن ثم أفرغ هذه التسجيلات وأعرض المادة القصصية على الرواة فيقرّون بعضها ويعدّون بعضها الآخر ، إلى أن يثبت النصّ المجمع على روايته .

وبعبارة أكثر وضوحاً ودقّة . لم أترك أيّ جيل أو أيّ جنسٍ إلّا وطرقت بابه وأخذت عنه ما يفيد عملي هذا ، بحيث يجعله نابضاً بالحياة .  
واتخذت ما يلي أساساً لدراستي :

- ١ - سن الراوي ومدى ذكائه وتذكره .
- ٢ - نوع الراوي . ذكراً كان أم أنثى ، مبدعاً أم غير مبدع .
- ٣ - مكان إقامة الراوي . باختلاف الأمكنة يضيف ثراء للدراسة .
- ٤ - تنوع الرواة ، لمعرفة ما يتفقون فيه وما يختلفون .
- ٥ - عمل الراوي . فعمل الراوي له الأثر ، كل الأثر ، في اللون الذي يرغب في قصّه .
- ٦ - وقت الرواية ومناسباتها .

أما أهم الصعوبات التي واجهتني فهي :

( أ ) لقاء النساء والأخذ عنهن . مما جعلني أستعين بزوجتي ، فزودتها بكل ما تحتاج إليه من أدوات للتصوير وأخرى للتسجيل . فقامت بالعمل المنوط بها على أكمل وجه ، وكنت أتولّى مراجعته أولاً بأول وأعرضه على الرواة لتوثيقه ، وشرح ما استغلق من مفرداته وعباراته وأفكاره - إن وجدت - واستجلاء ما وراء القصة من معتقدات وتقاليد شعبية ، ومن ثم أقوم بكتابته ودراسته .

(ب) اختلاف فئات الشعب القطري في بعض المعتقدات ، لاختلاف بيئاته . فبعضهم آت من الجزيرة العربية ، وبعضهم الآخر آت من الساحل الإيراني ، وكل فئة تحمل عاداتها ومعتقداتها وتقاليدها بالإضافة إلى الوافد عليها الذي أصبح فيما بعد لبنة من لبنات هذا المجتمع . كل هذا سبب لي حرجاً كبيراً حسمته بعرض هذه المعتقدات على غير شخص أو اتجاه واحد ، وأخذت بالمُجمَع عليه من قِيلِهِمْ ولفظت الأحاد والمختلف فيه .

(ج) ويشكل نسيان الراوي لبعض أجزاء القصة حرجاً لي . فكنت أعرضها بدوري على رواة آخرين ليتوا فيها ، ومن ثم أضيف ما افتقد من أجزائها - ان وجدت عندهم - .

(د) كما أن ادعاء الرواة معرفة كل شيء ، يضيف عقبة أخرى أمام الدراسة . وقد أرجعها الباحث إلى أن الراوي يتحرج من الظهور بمظهر غير العارف ، وهو عيب يغض من قيمة روايته .

(هـ) وبما أن السرد القصير لا يفصح عما يرمي إليه الراوي ، فقد يلجأ إلى سرد مطول ، ربما يوقعه في كثير من التناقض والأخطاء وادعاء ما ليس صحيحاً ، فيوقعني في تصحيف سمعي وكتابي ، ألاقي في تحقيقه العنت الشديد .

ولقد قسّمت بحثي هذا معمارياً إلى ثلاثة أبواب ، وكل باب إلى ثلاثة فصول :

الباب الأول : مجتمع القص في قطر ( تحليل لهذا المجتمع ) .

الفصل الأول : رواية القصص الشعبي في البيئات القطرية المختلفة ؛ بين البدو والحضر والريف والطبقات الاجتماعية والوافدين الذين قطنوا فيها ، وأضافوا بذلك مدماكاً إلى معمارية جسد القصة الشعبية القطرية .

الفصل الثاني : مناسبات القص في المجتمع القطري . وقسمتها إلى ثلاث مناسبات هي كالتالي : مجالس الرجال ومجالس النساء ومجالس الأسرة .

الفصل الثالث : دور الراوي في تطوير وتغيير القص الشعبي .

فدرست الراوي المبدع ، والراوي غير المبدع ، ودور الشعب في الرواية والإبداع .

الباب الثاني : أصول وأنماط ووظائف القصة الشعبية القطرية .

الفصل الأول : أصول القصة الشعبية في المجتمع القطري ، وترجع هذه الأصول إلى أصول عالمية مشتركة ، كالذيات البدائية والسحر والأحلام والعادات والطقوس . وإلى عوامل محلية كالكتب العربية المدونة والكتب غير العربية والسير والملاحم الشعبية والنوادر والملح .

الفصل الثاني : أنماط القصة أو الحكاية الشعبية في المجتمع القطري ، وقد قسّمتها إلى الأنماط الآتية : الحكاية الشعبية ، الحكاية الخرافية ، حكايات الفكاهة ، حكاية الحيوان ، حكاية المعتقدات .

الفصل الثالث : وظيفة القصة الشعبية في المجتمع القطري ، وقد بينتُ فيها الوظائف التالية :  
( أ ) الوظيفة الاجتماعية : فدرست الوظيفة الأسرية ، وكذلك المجتمع وصوره من خلال الحكاية الشعبية القطرية ، ثم أخيراً مثالب المجتمع ومناقبه في الحكاية الشعبية القطرية .  
( ب ) الوظيفة الاعتقادية في الحكاية الشعبية .  
( ج ) الوظيفة النفسية للحكاية الشعبية .

الباب الثالث : القصص الشعبي القطري ( دراسة فنية ) .

الفصل الأول : التحليل البنائي لهذا القصص . وقد أتبعته فيه منهج « فلاديمير بروب »  
المورفولوجي ، وطبقته على بعض النماذج من القصص الخرافي والشعبي القطري .  
الفصل الثاني : خصائص هذا القصص ، وصيغه الإيقاعية . حيث مررت على البدايات  
والنهايات والوسط ، وأطلعت على ما يعتمدها من أمور إيقاعية موسيقية فنية . ثم درست الخصائص  
الأخرى كاليساطة في الأسلوب ، والاستطراد والمبالغة ، والتكرار ، والحركة والسكون في الحكاية .  
الفصل الثالث : الرموز وأبعادها النفسية والجمالية . وهي دراسة نفسية استخدمت فيها مذهب  
يونيغ الجمعي وعرضت لبعض المذاهب الأخرى من خلال حديثي ، ثم طبقت المنهج النفسي على  
القصص الخرافي والقصص الشعبي القطري .

خاتمة : جمعت فيها نتائج البحث وثماره .

والحققت هذه الأبواب بملحق يحتوي على عدد من أنماط القصص في قطر .  
وبعد ، فإننا لا ندعي الإحاطة الكاملة بالموضوع الذي تصدينا له ، وهو القصص الشعبي في قطر  
من جميع نواحيه ، لعل هناك جوانب منه لم ندركها ، أو استعصى علينا الكشف عنها ، لذلك فإننا  
نعتبر عملنا هذا خطوة متواضعة على طريق طويل نحب أن يسلكه من بعدنا شباب قطر الناهض الذي  
تقع عليه مهمة الكشف عن تراثه وتقديمه للناس ، علماً بأن هذه المنطقة غنية بآثارها الدارسة وأمجادها  
العريقة ، وهي بحاجة إلى مخلصين وأبناء بررة يحيون هذه الآثار والأمجاد . وخاصة بعد أن وُضِعَتْ  
جميع الإمكانيات أمام الباحثين والدارسين لبلورة هذا التراث الشعبي وإخراجه إلى حيّز الوجود .  
وقد انعقدت ثمار هذا الإهتمام في هذا البحث الذي ضمّ بين حناياه صور الماضي والحاضر بكل  
أعماقها وأبعادها .

وعرفاناً بالجميل ، فإنني أتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى أستاذتي الدكتورة نبيلة إبراهيم ،  
أستاذة الأدب الشعبي بجامعة القاهرة ، والمشرقة على هذا البحث ، لما أسدته إليّ من نصيح وإرشاد ،  
ولوقفها النبيل الذي لا يُنسى ، بل أذكره موقفاً لا أعظم منه ولا أروع حين شجعتني على المتابعة بعدما  
أصابني من مرض كاد يحول بيني وبين الدراسة .

كما وأشكر جميع من مَدَّ لي يد العون من الرواة والجامعين من الجنسين بمختلف مستوياتهم وأعمارهم ، وكذا جميع المسؤولين والزملاء والأصدقاء الذين ساندوا هذا العمل . وأخص بالذكر : الأستاذ عيسى غانم الكواري مدير مكتب سمو الأمير المفدى ووزير الأعلام ، الذي لم يأل جهداً في متابعة هذا البحث خطوة بخطوة .

والله ولي التوفيق . . .

د . محمد طالب الدويك



# الباب الأول

مجتمع القص في قطر (تحليل لهذا المجتمع)



## تحليل لهذا المجتمع

يجد المتتبع لتاريخ قطر قديماً وحديثاً ، أنها كانت ملجأ لقبائل مرتحلة تعاقبت عليها ، وهذا ما أفرزته الحفريات الحديثة في قطر ، وكذلك كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى ، فدللت على قدم المنطقة .

« فقطر إحدى مناطق شبه الجزيرة العربية التي يعتقد أنها كانت موطناً لأقوام رُحَّل لم يقيموا فيها إقامة دائمة »<sup>(١)</sup> . ومن المرجح أنها كانت من القبائل المستضعفة التي لجأت إلى هذا الجيب هرباً من بطش القبائل القوية « وكل ما بين أيدينا من معالمها التاريخية القديمة ، ما عثرت عليه البعثة الدانمركية ، التي بدأت عملها منذ عام ١٩٥٦م وحتى عام ١٩٦٤م ، في جميع أنحاء قطر ، من آثار حجرية أثبتت وجود نوع من الحياة المستقرة ، خاصة في المناطق الساحلية . دلالة على أن تلك القبائل كانت تحترف حرفة صيد الأسماك ، علاوة على حرفتها الأصلية وهي رعي حيواناتها ، وأن المناطق الداخلية لم تكن ترودها تلك القبائل إلا في فصل الشتاء المطير الذي كان يسمح بنمو بعض الأعشاب التي ترعاها قطعانهم »<sup>(٢)</sup> .

وورد اسم قطر في كتب المؤرخين القدامى<sup>(٣)</sup> . ومنهم المؤرخ اليوناني الروماني « بليينوس » مرة باسم « قطراي » ومرة ثانية باسم « Nomads Catharrei » أي إعراب موضع أرض قطر<sup>(٤)</sup> .

كما ذكر « بطليموس » الجغرافي اليوناني في خريطته « بلاد العرب » مدينة باسم « قطر Katara » . قال : أنها تبعد نصف درجة من مدينة « الجرعاء Gerra »<sup>(٥)</sup> .

فلعل اسم قطر الحالي نسبة إلى تلك المدينة ، من قبيل إطلاق الجزء على الكل ، ولا أحد يعرف أين تقع بقايا مدينة « قطر » هذه التي درست معالمها . ولعلها كانت تقوم على البقعة التي تقع عليها خرائب مدينة « الزبارة » على الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية .

« وكانت قطر منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس عشر ضمن إقليم البحرين الذي كان يمتد من البصرة إلى سواحل عُمان وإلى الجزر المقابلة لها ، إلى أن ينتهي في الصحراء ، شاملاً ما نسميه اليوم باسم الكويت والاحساء » .

ويذكر المؤرخون وعلى رأسهم « هيرودوتس ٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م » إن أول من سكن البحرين

(١) تقرير البعثة الدانمركية للتنقيب عن الآثار في الخليج العربي - المجلد الأول - ص ١٢ .

(٢) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر - ج ١ .

(٣) د. زاهية قدورة - تاريخ العرب الحديث - بيروت ١٩٦٩م - ص ٧١ .

(٤) جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٣م - ج ٣ - ص ٢٩٣ ، ٢٧٩ .

(٥) جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٣م - ج ٣ - ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

هذه ، القبائل الكنعانية الذين ينتمون إلى أصول فينيقية فان صح ذلك فيكون سكان قطر وجوارها رجال بحر منذ أقدم العصور ، وأنهم أشهر من ركبوا متن البحار في العصور القديمة»<sup>(١)</sup> .

« ومن القبائل التي سكنت اقليم البحرين في بدء تاريخها قبائل « طسم » و « جدیس » من العرب البائدة ، وكانت منازلهم في « اليمامة » ثم نزحت طائفة منهم فنزلت البحرين »<sup>(٢)</sup> .  
« ويرى محمود شكري الألوسي<sup>(٣)</sup> في تاريخ نجد ، أن « المريخات » من قبائل قطر المتنقلة يعودون بأصلهم إلى « طسم » .

« وكذلك سكن قطر القبائل العربية من قحطانية وعدنانية لقبائل قضاة وبنی ایاد وبكر بن وائل .  
ومن القبائل التي نزلت هذه المنطقة ، بنو تمیم ، وبنو عبد القيس وغيرهم من القبائل العربية . وعند مجيء الإسلام كان حاكم هذه المنطقة ، « المنذر بن ساوى » الذي دعاه الرسول إلى الإسلام فلبى الدعوة ، وأعلن إسلامه هو وجميع العرب هناك وبعض المعجم .

ولا يفوتنا أن نذكر أن فرقة الخوارج التي ظهرت بعد موقعة « صفین » والتي ينتمي إليها « قطري بن الفجاءة » ، استطاعت أن تسيطر على البحرين من سنة ٦٧هـ - ٧٣هـ ، وأن تحكمها »<sup>(٤)</sup> .  
كما سيطر القرامطة<sup>(٥)</sup> الذين يرجع أصلهم إلى الفرقة الاسماعيلية على منطقة البحرين وقطر وغيرها من مناطق الخليج أيضاً .

وفي عام ٩٢٢هـ ، ١٥١٧م تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على بعض المناطق<sup>(٦)</sup> ومنها قطر ، ثم طردهم العثمانيون ٩٤٣هـ ، فكان ذلك تمهيداً لسيادة العثمانيين على هذه الأنحاء ومنها قطر<sup>(٧)</sup> .  
أما قطر الحديثة ، فقد استمدت نموها السكاني من ثلاث موجات رئيسة من الهجرة، وأولى هذه الموجات جاءت بطريق البر في السبعينيات في القرن الثامن عشر ، عندما وفد إليها أفراد من قبائل كانت مقيمة على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، ثم الموجة الثانية جاءت عن طريق البر عندما تدفقت على قطر مجموعات قبلية إبان عهد التوسع الوهابي في الاحساء في نهاية القرن التاسع عشر<sup>(٨)</sup> .

---

(١) د. سيد نوفل - الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية - الطبعة الثانية ١٩٦١م - ص ١٥١ .  
(٢) أنظر ، الطبري - تاريخ الطبري - تحقيق أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر - سنة ١٩٦٠م - ج١ - ص ٧٧١ .  
القلقشندي - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق ابراهيم الايباري - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٩م - ص ٢٠٥ .

(٣) محمود شكري الألوسي - تاريخ نجد - الطبعة الثانية - مصر ١٩٤٧هـ - ص ١٢ .

(٤) ياقوت الحموي - معجم البلدان - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٠٦م - ج١ - ص ٣٤٨ .

(٥) مصطفى مراد الدباغ - قطر ماضيها وحاضرها - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٦١م - ص ١٩٦٣ .

(٦) مصطفى مراد الدباغ - نفسه ص ١٦٤ .

(٧) مصطفى مراد الدباغ - نفسه ص ١٦٤ .

(٨) دولة قطر - وزارة الاعلام - قطر في السبعينيات - الدوحة ١٩٧٣م .

على كل الأحوال فإن هاتين الموجتين من الهجرة تشكلان مانطلق عليها اسم الهجرة البرية للقبائل القطرية ، التي وفدت من الجزيرة العربية ، ومن نجد بالذات ، تحمل معها عاداتها وتقاليدها .

وجاءت موجة الهجرة الثالثة على فترات متقطعة بطريق البحر من الشواطئ المجاورة لحوض الخليج العربي . ويطلق عليهم اسم الهولة أو الحولة ، وهم الذين تحولوا من الساحل الإيراني إلى الساحل العربي . وهم عرب أقحاح في نسبهم ، وكانوا يقدون إلى شبه الجزيرة القطرية وغيرها من منطقة الخليج العربي طلباً لمياه الأمطار والمرعى ، وكانت هجراتهم الفصلية تغطي المنطقة الواقعة بين الزبارة في الطرف الشمالي الأقصى لقطر وأقصى الربع الخالي .

واستقرت هذه القبائل جميعاً ، البرية منها والبحرية في هذه البيئة الجديدة ، وأخذت تكون مجتمع قطر ، مما اضطرهم إلى جلب العديد من العبيد ( الرقيق ) من افريقيا ومن غير افريقيا لاستخدامهم في البيوت وفي بعض الحرف الأخرى . وتزواج هؤلاء العبيد من بعضهم بعضاً وتركوا على مر الزمن سلالة كبيرة ما تزال موجودة إلى اليوم .

ومع مرور الزمن اندمج هؤلاء العبيد في المجتمع القطري ، وأثروا وتأثروا ، بيد أن أثرهم كان قليلاً في الميدان الفني ، وخاصة في الحكاية الشعبية وروايتها . وقد ظهر أثرهم جلياً في بعض الألحان وفي العزف على الآلات الموسيقية التي كانوا يستعملونها في بلادهم ، وجلبوها معهم إلى البيئة الجديدة . وقد أخذ العبيد حريتهم في الوقت الراهن ، على يد حاكم البلاد السابق ، الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ، وهم يشكلون الآن جزءاً من مجتمع قطر .

ثم اندمجت هذه القبائل وكذلك فئة العبيد في البيئة الجديدة ، ونتج عن هذا الاندماج بين البيئة الصحراوية وبين البيئة البحرية وكذلك بين الوافد الذي وفد عليها ، نتج مجتمع جديد ، هو ما نطلق عليه اسم قطر الحديثة ، بمدنها وقراها وباديتها ، وكذلك طبقاتها الاجتماعية التي سنبحثها تباعاً من خلال فصل رواية القصص الشعبي فيها .

وقد احترف هذا المجتمع الجديد عدة حرف منها ، حرفة رعي المواشي ، وكذلك حرفة صيد الأسماك ثم حرفة صيد اللؤلؤ ، التي اشتهر بها مجتمع قطر كل الاشتهار ، وتكونت طبقاتهم الاجتماعية ؛ الطبقة الغنية جداً ، وهم تجار اللؤلؤ ( الطواشون ) . والطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة . وقد بدأت هذه الطبقات تأخذ في الظهور ، حين أفاء الله على قطر بنعمة البترول ، الذي قلب الحياة عندهم ، رأساً على عقب ، وجعلهم يهتمون بالتجارة والأعمال الحرة والعمل في الشركات التي تدر عليهم أرباحاً طائلة .

« فقطر كانت معروفة لدى العرب ، وفي محيط الخليج العربي ، على أنها بلد اللؤلؤ ، لكنها أصبحت تعرف فيما بعد باسم بلد النفط »<sup>(١)</sup> .

(١) عبد الرحمن محمود الحص - قطر منذ العهد العثماني إلى عهد آل ثاني - ص ٨٣ .

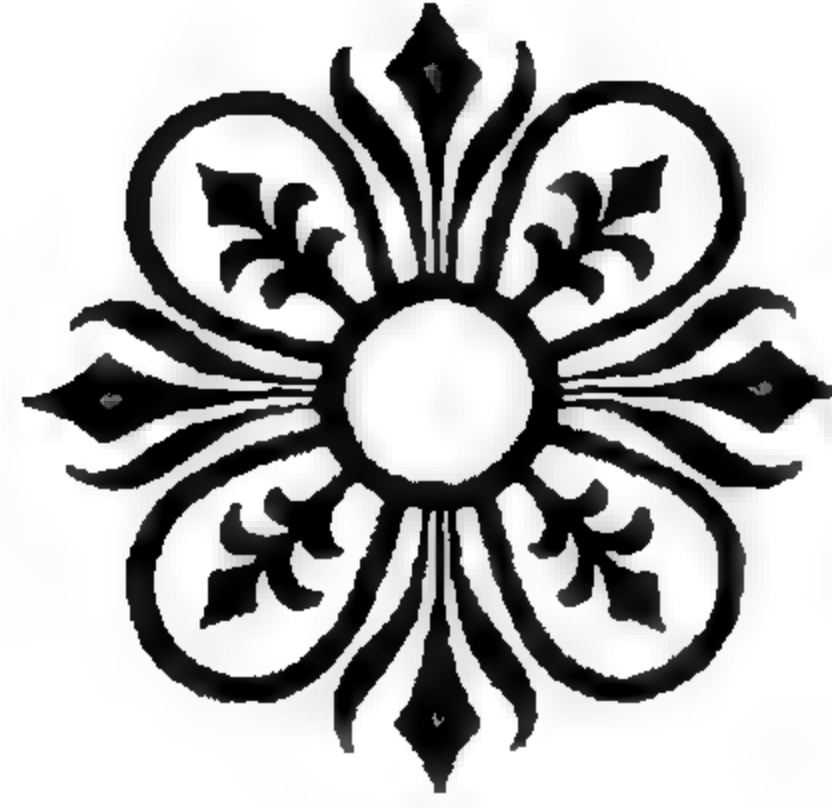
ونظرة إلى مظاهر التقدم الذي أصابت منه قطر ، يجعلنا نقف مدهوشين أمام الإنجازات التي أنجزت . فلقد شُيدَ البنيان المرتفع في المدن ، وشُقَّت الطرق الواسعة وعُبِّدت في المدن والقرى ، وأقيمت الحدائق والصناعات الحديثة كصناعة تكرير البترول وتقطير المياه وتوليد الطاقة الكهربائية بمولدات تعمل على الغاز الطبيعي ، وصناعة الصلب والحديد ، وصناعة الأسمت . . . الخ . والزراعة ثمرة أخرى من ثمار البترول . فقد كثر عدد المزارع الخاصة والعامة ، وزرعت معظم الفواكه والخضراوات في قطر ، وأصبحت قطر تكتفي اكتفاء ذاتياً من بعض الخضار كالبنندورة والبطيخ ( الجج ) ، والباذنجان والخس . . . . الخ .

ومن مظاهر التطور الحضاري أيضاً النهضة التعليمية ، والاعلامية . فقد أُنْشِئت المدارس للبنين والبنات ، وكذا جامعة قطر أيضاً للبنين والبنات ، وأُرْسِلت البعثات للدراسات في الخارج ، في أوروبا وأمريكا والعالم العربي وأنشئت محطة للتلفزيون وأخرى للإذاعة ، وكثرت الصحف والمجلات . وغدت قطر بلداً حديثاً بمظهره وفكره . وهناك ثمرة أخرى لهذا التطور ، هي الناحية الصحية . فقد احتلت مكانة عظيمة من اهتمام المسؤولين ، فبنيت المستشفيات الحديثة مثل مستشفى حمد العام ومستشفى الدوحة ومستشفى الولادة وغيرها ، وأحضر لها أمهر الأطباء العالميين للعلاج فيها . كما فتحت مراكز طبية في البلاد الأوروبية والأمريكية والعربية لعلاج ما يستعصى علاجه في قطر . ومما يجدر ذكره هنا ، ان العلاج في قطر للقطريين وغير القطريين يقدم مجاناً في الداخل والخارج .

تلك أهم مظاهر التطور الموجودة في قطر ، ويطول بنا الحديث لو حاولنا ذكرها جميعاً بالتفصيل ، لكننا نخلص من كل هذا فنقول : لقد خطت قطر خطوات واسعة على طريق البناء والتقدم والنهضة الشاملة في سائر الميادين . وقد انعكس هذا بدوره على مدن قطر وقراها وباديتها وطبقاتها الاجتماعية في رواية القصص الشعبي ورواته ، وجعلتها متقاربة من بعضها بعضاً إلى أبعد الحدود . فأهل المدن والقرى والبادية ينهلون من منهل واحد ؛ من العلم والثقافة فأبناءؤهم يجلسون على مقعد واحد في المدرسة المقامة في المدينة أو القرية أما البادية فيأتي أبناءؤها من مضاربهم في البراري ليجلسوا على نفس المقعد ، على قدم المساواة مع أبناء القرى والمدن .

وتبث الاذاعة والتلفزيون ارسالها للجميع وتدخل في كل بيت حتى في خيمة البدوي . وكذا العلاج والزراعة وجميع مناحي الحضارة الأخرى فهي للجميع . وسوف يلتئم العقد أكثر فأكثر حين يتم توطين البدو في المستقبل القريب في مدن وقرى مُجمَّعة وتنشأ فيها كل مرافق الحياة من مدارس ومستشفيات وغيرها ، فتوفر على ابن البدوي مشقة العناء في الذهاب إلى مدرسة القرية أو المدينة أو في الذهاب إلى المستشفى . وقد بدأت تبشير هذا التوطين تظهر في مدينة الكعبان ومدينة المرة ، والبقية ترى .

وعندما يكتمل التوطين وتمتزج هذه البيئة في بيئات قطر أكثر ، عندها نجد أنفسنا في حاجة إلى دراسة خاصة لهذا المجتمع الجديد ، الحامل لصفات جديدة والمقرب من صفات مجتمع المدينة والقرية بحيث يمكننا القول بعد ذلك بأن مجتمع قطر متقارب من بعضه بعضاً في جميع مظاهر الحضارة والتقدم .





## الفصل الأول

رواية القصص الشعبي في البيئات القطرية المختلفة

- الريف القطري .
- المدن .
- البادية .
- الطبقات الإجتماعية .
- الوافدون .



## الفصل الأول

### « رواية القصص الشعبي في البيئات القطرية المختلفة »

لقد وجد حاكي القصة في كل مكان ، وفي كل عصر ، مستمعين شغوفين لسماعه ، سواء أكانت القصة تستعرض خبراً أم عبارة عن أسطورة منقولة عن القدماء ، أم قصة خيالية محكمة الخيال . كما وجد نساءً ورجالاً يلتقطون كلماته لاشباع شهوتهم في المعلومات أو التسلية أو الحث على الأعمال البطولية أو للتهذيب أو التخلص من أدران الحياة ومللها .

« فعلى حين نجد كاتب الرواية الحديثة يسعى ويلهث وراء الحكمة الأصلية للرواية ، نجد أن حاكي القصة الشعبية يقوم بتسليم الشيء الذي استلمه كما هو ، أو بإضافة بعض الأشياء ، بحيث لا يؤثر على بنية القصة الأصلية ، وغالباً ما يرغب الحاكي الشعبي في تحقيق رغبات مستمعيه أكثر فأكثر ، فيروي لهم شيئاً منقولاً عن مصدر معروف أو قصة سمعت عن حاكٍ مختص في شئون القصص أو شخص كبير في السن يتذكرها من صغره »<sup>(١)</sup>.

ودراسة القصة الشعبية أو الحكاية الشعبية في المجتمع القطري جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي الذي يعكس قيماً وتقاليد ومواقف تعبر عن انتماء واتجاهات معينة في الشعب . وهذه القيم والتقاليد والمواقف تعبر في إطارها العام عن المحاور الأخلاقية والفكرية لغالبية الشعب ، وعن فاعلية هذه المحاور كمحركات أساسية لحياته ، وهي إضافة إلى ذلك نتاج عصور ومراحل مختلفة ، وهي تعكس في استمراريتها وديمومتها وقدرتها على التكيف مع هذه العصور والمراحل التي تحمل وبلا شك تأثيراتها وانعكاساتها من حيث أن معظم أشكال التراث الشعبي لا يظل كما هو ، وإنما يخضع للتعديل والاضافة وفق معطيات وحياة كل عصر أو كل مرحلة على حدة .

« ويرى بعض الباحثين ، أن التراث الشعبي لمنطقة الخليج العربي يعكس وحدة القيم والمواقف الخليجية نتيجة العوامل التالية :-

- ١ - وحدة التجربة الإنسانية العامة .
- ٢ - التكوين النفسي المشترك .
- ٣ - التطور المتوازي والمتقارب للمجتمعات الخليجية العربية .
- ٤ - الأسس الحضارية للعوامل الجغرافية والتاريخية واللغوية والروحية »<sup>(٢)</sup>.

---

(1) Stith Thompson, The Folktale, 1977, p. 3.

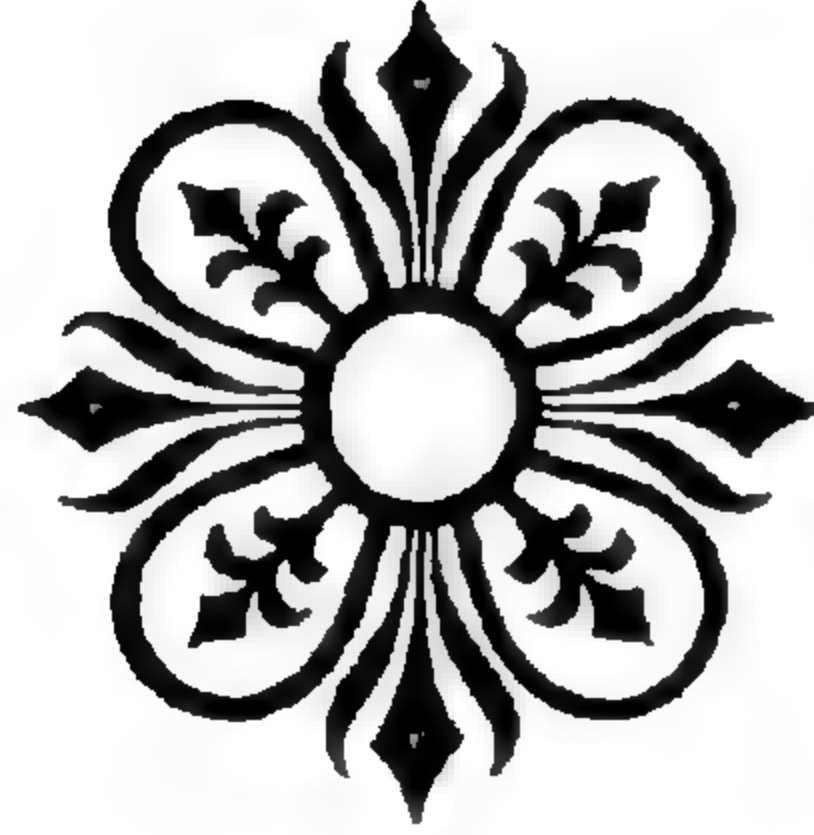
(٢) حسن حمود - تراث الشعب العربي - مجلة الطليعة الأدبية - العدد السابع - السنة الخامسة - بغداد - الجمهورية العراقية - ١٩٧٩ م .

ويرجع هذا التماثل في التراث الخليجي إلى التقاء شعوب المنطقة في الظروف التاريخية والعرقية واللغوية ، وكذلك في عاداتها وتقاليدها ، ثم في التقاء هذه الشعوب في ظروفها البحرية التي تُعدُّ جزءاً حَيَوِيًّا في حياة الخليج وتعتبر من أخص خصائص التشكيل الخليجي .

وقد لاحظ الباحث وهو يجمع الحكاية في المجتمع القطري بأنواعها المختلفة ؛ الشعبية ، والخرافية ، وحكايات الفكاهة ، والحيوان ، والمعتقدات أنها مرتبطة بالبيئة البرية ارتباطها بالبيئة البحرية .

وتمثل البيئة البرية الحياة البدوية لتلك القبائل التي هجرت الجزيرة العربية إلى ساحل قطر ، وتمثل الطابع الصحراوي بمدنه وقراه وبدائوته ، ذلك لأن كل شخص في المجتمع لا يستطيع أن يخرج عن معارفه المتوارثة أو عاداته أو فنونه المختلفة والمتبعة في المناسبات المتعددة .

وبعد أن استقرت هذه القبائل وامتزج بعضها ببعض في البيئة الجديدة ، بدأت تتأثر بمظاهر الحياة الجديدة ، التي تغيّرت بتغيّر الظروف الاقتصادية التي طرأت على البلاد .



## « الريف القطري »

لقد حافظ أهل القرى في قطر على أشكال التعبير الشعبي المختلف من أغنية شعبية وحكايات ، ولغز ونكتة ومثل شعبي وجميع مناحي المظاهر الشعبية في المجتمع من عادات وتقاليد وحرف شعبية ، مثل صناعة السفن وصناعة الأواني الفخارية والعباءات والثياب المختلفة . وقد لاحظ الباحث قلة رواية القصص البطولية لأبطال سابقين ، مثل أبي زيد الهلالي وعترة بن شداد وغيرهما من الأشخاص الأبطال عند أهل الريف القطري ، فهم لا يكادون يذكرون هؤلاء الأبطال في حكاياتهم إلا إماما ، كحكاية موت عترة بن شداد ، حين يذكرون حكاية موته ومكانه ، ويعتقدون أن قبره موجود عندهم في الوكرة من أعمال قطر ، في منطقة يطلق عليها جبل عترة ، أو أطلال عترة أو تلأل عترة .

وفي لقاء مع السيد سعود الكعبي<sup>(١)</sup> في منزله الكائن في منطقة مدينة خليفة الشمالية بتاريخ ١٥/٢/١٩٨٠م ، ذكر لي حكاية موت عترة كما سمعها من الكتب فقال : « صلّوا على النبي ، استطاع عترة أن يأسر بطلا من الأبطال ( لم يُحدّد اسمه ) وصمم على عدم قتله ، بل قرّرفقء عينيه ، وفعلا فقأهما ، مما جعل البطل يتوعد عترة بقتله ، ثم دارت الأيام ، وفي ذات يوم قدم عترة وأخذ يبول في ركن من الأركان ، ولما سمع هذا البطل صوت بول عترة وجّه إليه حربة اخترقت جسمه من العانة حتى ظهره ، فصاح عترة على أخيه شيبوب : لقد قتلني ذاك العمّي (الاعمى) . على كل الأحوال لا تحاول يا شيبوب إخراج الحربة ، قبل أن أقول بعض أبيات من الشعر ، وفعلا بقي يردد أبياتاً من الشعر ويكتبها بدمه إلى أن انتهى منها ، ثم قال لشيبوب : الآن ، إرفع الحربة ، ولما رفعها شيبوب وقع عترة صريعاً فمات . وبهذا اقتصر البطل لفقء عينيه من عترة » .

وفي رواية أخرى لموت عترة<sup>(٢)</sup> ، أن عترة بن شداد كان يحب الصحراء وخاصة الرملية منها ، وبالذات الربع الخالي في المملكة العربية السعودية ، ولما كان لهذا الربع امتداد بري مع قطر ، يصل إلى مدينة أم سعيد القطرية ، فقد مرّ عترة بالوكرة ، نتيجة هذا الامتداد ، وربما يكون قد مات فيها ودفن ، وهذا ما أجمعت عليه أغلب الروايات<sup>(٣)</sup> .

فرجال الريف في قطر لا يخصصون جلسات خاصة للحديث عن هؤلاء الأبطال كما هو الحال في سوريا مثلاً . إذ يأتي الحكواتي « ويجلس على دكة عالية بحيث يراه جميع من في المقهى ، فيقرأ فصلاً من القصة ثم يستريح ويقرأ فصلاً آخر إلى أن تنتهي الجلسة »<sup>(٤)</sup> وقد يأخذ منه هذا القصص وقتاً

(١) سعود الكعبي - الدوحة - موظف - ٥٥ سنة .

(٢) أحمد محمد حسن المالكي - الدوحة - موظف - ٣٠ سنة .

(٣) في الوكرة والدوحة والخور والشمال .

(٤) مجدي العقيلي - السماع عند العرب - الطبعة الأولى - ١٩٧٩م ج٥ ص ٣٢ .

طويلا ، يصل إلى شهر أو شهرين أو سنة إلى أن تفرغ قصة عترة أو أبي زيد أو الزير سالم أبوليلى المهلهل وغيرها من القصص التي تعلم الفروسية والبطولة والجميع لا يفارقونه ، ويحرصون على حضوره كل ليلة .

على أن الرجال يجتمعون في مجلسهم<sup>(١)</sup> ليقصوا القصص ويسولفون بالسوالف - على حد تعبيرهم - التي مرت معهم في أثناء الغوص على اللؤلؤ في السابق أو في أثناء رعيهم للماشية من قبل ظهور البترول أو في أثناء سفرهم إلى الهند أو أي مكان آخر للتجارة ، كما حدث مع أحمد بن ماجد النعيمي<sup>(٢)</sup> حين سافر إلى الهند وتزوج في الطريق بامرأة أفريقية وأنجب منها وتركها ، إلى أن وصل إلى الهند ، فاشترى وباع وعاد إلى بلده .

أو أنهم يقصون في المجلس الحكايات الخرافية كحكاية عناد الغطاس<sup>(٣)</sup> التي سمعها الباحث في مجلس عبد الله بن سعد ، حين عارضه رجل من الحاضرين في بعض أجزاء الحكاية ، فقال له عبد الله وقد ضاق ذرعا بإقناعه : « هذا اللي حدث ، أنا ماجبته من دار أبوي ، أنا سمعته ، وهكذا روي ، ولا دخل لي فيه سوى الرواية ، وأنا متأكد من اللي أقوله إمية بإمية أي مائة بالمائة » .

وبعد أن يترك الرجل مجلس الرجال ، يذهب إلى بيته ليرى امرأته وقد جمعت من حولها أبناءها ، تحكي لهم الحكايات المتعددة ، وقد يحدث في بعض الليالي أن ينام الأطفال ، فتقول الأم لأبنائها : « نحكي والآن نخلها لليلة الياية ( الجاية ) . فيقول الأطفال بصوت واحد : ما احنا بنايمين كملي ، قولي لنا بقية الحزاية<sup>(٤)</sup> حنا نحبها وايد . فتقول لهم : عيل ما نبغي نوم خلکم معي » . وتستمر الأم بالحكي إلى أن ينام الأطفال ، ومن ثم تنام الأم بعد نومهم .

وإذا كانت الأسرة الواحدة ، تحتوي على جدة بالإضافة إلى الأم ، فإن الأطفال يذهبون إليها يسألونها عن مزيد من الحزايي ، فتأخذ هي الأخرى تقص عليهم ما تحفظه من حكايات وهم يتحلقون من حولها ، وقد يصدف أن يتدخل أحد الأبناء ، ويحدد لجدة أو لوالدته حكاية بعينها ، فيعارضه الآخر بحكاية أخرى يريدونها من جدته ، وثالث يريد غيرها ، فتقول الجدة : « اتفقوا على واحدة » . وبعد أخذ ورد يتفق الجميع على واحدة ، فتبدأ الجدة بالقص ، ثم تجد الجدة وقد أخذتها الرافة بالأطفال تقص الحكاية الثانية المطلوبة وكذا الثالثة - إن كان هناك متسع من الوقت - وبإضافة رابعة وخامسة إلى أن يرضى جميع الأطفال وينامون .

---

(١) حيث أن لكل بيت مجلس خاص به .

(٢) أحمد بن ماجد النعيمي - الريان - مطوع - ٦٠ سنة .

(٣) عبد الله بن مسعود - الخور - ٦٠ سنة .

(٤) يطلقون لفظ الحزاية على الحكايات - التي تحكى من قبل الأهل للأولاد قبل النوم بينما يطلقون لفظ السالفة أو الحكاية أو القصة على ما يذكر قبل أو بعد هذا الوقت .

وقد يحدث أن يقاطع أحد الأبناء الجدة أو الأم ، فتسكت الجدة عن الحديث ، فيهب الجميع لإسكات هذا الإبن بعبارات التقريع والتأنيب . فيقول أحدهم : شايف شلون <sup>(١)</sup> سكنت الجدة . ويقول ثان : شوف إذا مابتسكت تراني قاطك برع <sup>(٢)</sup> وثالث يقول : اسكت حتى نسمع . وهكذا إلى أن يغيب الصوت المعارض أو المزعج تماماً ، فتكمل الجدة حكايتها إلى النهاية .

وقد يحدث كما حدث مرة لخليفة السيد <sup>(٣)</sup> حين كان الجوحارا في ليلة من ليالي الصيف ، وكان يجلس في الباحة خارج البيت مع أبنائه وأسرته فبادرته إحدى بناته قائلة : حازينا يايا ( أبي ) بحزاية ، فقال : حاضر ، سأحازيكم بحزاية أبي درياه <sup>(٤)</sup> ، بس تحملوا لا تخافون ، ترى أبو درياه كان يخوف البحارة في السابق . فوافق الجميع إلا أن إبنه عبد الرحمن رفض سماعها لأنه كان قد سمعها من قبل ، وأصر على سماع شيء جديد ، لم تألفه أذنه من قبل ، ولكن جمهرة الأبناء أصرّوا على حزاية أبي درياه ، فتغلبت الأكثرية عليه وأرغموه على القبول .

وقد يحدث أن تتعب الجدة وهي تحكي الحكاية أو الحزاية ، فتقول لإبن إبنها أو إبنه إبنها أو بنتها : عيل <sup>(٥)</sup> أنا تعبت وايد ، إحك لنا يافلان حكاية ، فيقول لها : ماعرف ، إلا أنها تلح عليه وكذلك الأبناء ( اخوته ) يلحون عليه ، إلى أن يحكي حكاية أو حزاية كان سمعها من جدته أو جده أو والدته في ليال سابقة ، أو يجمع أجزاء من حكايات في حكاية واحدة ، ويستمع إليها الجميع بكل إكبار وإجلال .

وبعد أن يفرغ من حكايته ، تطلب الجدة من الآخرين أن يقصّوا ما يعرفونه من حكايات ، ثم يتصل العقد بالجدة ، بعد أن تكون قد ارتاحت في هذه الفترة ، فتقص حكايتها الثانية والثالثة ، وتستمر الجلسة على هذا النمط إلى أن يأوي الجميع إلى فراشه .

يحدث هذا في الأسرة الواحدة ، المكونة من الأب والأم والأبناء والجدة ، ويحدث كذلك في الأسرة الأكثر اتساعاً إذ يحضر الأبناء المتزوجون والبنات المتزوجات بأسرهم وأسرهن إلى بيت الوالدين ويتكون منهم مجتمع صغير أصله القرابة والصلة ، ويبدأ الحكي بالحزايي والقصص من الجدة أولاً ، أي أكبرهم سناً ، أو من الجد ثم يليهما الوالدان ثم الأبناء ثم الزوجات ثم الأولاد والبنات .

ولا يعني أن هذا الترتيب هو المتبع والأساسي ، بل قد يحدث أن يسبق أحدهم الآخر ويكون الجميع في غاية السعادة ، فالذي يحفظ هو الذي يحكي ، ولا اعتبار للسن هنا .

---

(١) شلون : كيف .

(٢) برع • بره ( خعرج ) .

(٣) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٤) أبو درياه : جني يظهر للبحارة في السابق وهم في البحر ، على شكل رجل طويل له لحية بيضاء . ودرياه في الفارسية البحر ، وأبو درياه معناه أبو البحر .

(٥) عيل • أجل .

وقد تتسع الحلقة وتضم الجيران ؛ الرجال منهم والنساء والأطفال ، يبدأون في القص ليتحقق لهم التسلية والترفيه ، فتكتسب الأسرة بذلك سواف وحكايات جديدة ، لم يسمعوها من قبل ، وبهذا يضاف رصيد جديد إلى ماقد حفظوه ، ويساعد على حركة الحكايات ونقلها في المجتمع . وقد تجتمع النساء في قرى قطر في بعض الأوقات إذ يجلسن مع بعضهن بعضا ، وتقوم على تحديثهن عجوز كبيرة ، تقص عليهن كثيرا من الحكايات ، وهن يتحلقن من حولها في إصغاء كامل يستمعن لما تقول ، وربما يناقشنها في بعض الأمور ، وخاصة عندما تكون الحكاية عن المرأة . فقد حدث أن ناقشت إحداهن محدثتها في شأن تعدد الزواج ، حين قصت حكاية « الرجل المزواج »<sup>(١)</sup> فكانت النساء الجالسات بين مؤيدات لتعدد الزواج ومعارضات له إلى أن انفضت الجلسة بلا اتفاق .

تقول الحكاية : « صلوا على النبي ، كان هالريال<sup>(٢)</sup> المتزوج وعنده أولاد وايد ، لكن زوجته كانت منكدة عليه كل حياته ، وما في يوم إلا اخناقة والاصياح . وفي يوم سافر إلى بلد بعيد للتجارة ، وعندما نزل في هذا البلد تعرف على رجل فأحبه وأخذ معه إلى البيت ، وكانت له ابنة شابة ، ولما دخلت عليه لتقدم له الزاد أحبها ودشت (دخلت) في قلبه فخطبها من أبيها وتزوجها ، وبقي الرجل بعض الوقت وهو مستأنس ، يشتغل مع أبيها ويعود إلى زوجته ، إلى أن جاء يوم قرر فيه السفر إلى بلده . فقال لنسيه : البلاد اشتاقت لأهلها وأنا أسترخص ، أبي (أبني) العودة إلى بلدي . فقال له نسيه : على كيفك ، بس حنا نبيك تظل عندنا ، وفعلنا عاد إلى بلده مع زوجته الجديدة ، وما أن وصل إلى بلده واستقر في بيته ورأت زوجته القديمة الزوجة الجديدة حتى قام النزاع بينهما وحاول الإصلاح فلم يستطع ، فحلف أن يتزوج بامرأة ثالثة ، وفعلنا خطب ثالثة وتزوجها ، لكن المنازعات والمشاحنات دبت واستفحلت بينهن وأصبحن يكدن لبعضهن بعضاً .

وفي مرة ذهبت زوجته الأولى إلى السوق وتركت أبناءها في البيت فقامت المرأة الثانية وقتلت ابن زوجها في غياب أمه وأخفته في سمادة (مزبلة) ، ولما عادت الأم ، سألت عن ابنها فلم تجده ، فأخذت تصرخ ، ابني ، أين ابني ؟ وهب الجميع يبحث عن الولد المفقود فلم يجدوه ، وذهبوا إلى المطوع (العالم) وسألوه عن الولد ، فقال لهم : الولد مقتول في المكان الفلاني ، وأسرعوا إلى المكان الذي أشار إليه المطوع فوجدوه ، ودفنوه ، واتهمت الأم زوجات أبيه ، وحاول الأب مع زوجاته عله يعرف الحقيقة ولكن بدون فائدة ، فأرسلوا للمطوع مرة أخرى وكشف حقيقة القتل بأن الزوجة الثانية هي القاتلة ، فقام الرجل وطلق زوجته الثانية وأرسلها حق أهلها . لكن حياته بقيت في نكد ، فقام وطلق بقية زوجاته ورحل إلى بلد بعيد ، وتزوج بامرأة جديدة واستقر هناك ، وأرسل إلى أبنائه ليستقروا معه ، لكنهم فضلوا البقاء مع أمهاتهم فتركهم وأخذ يرسل لهم بعض النقود والهدايا ، وبقي على اتصال دائم

(١) أساء حارب - الدوحة - ٥٥ سنة .

(٢) هالريال : هذا الرجل .

بهم وعاش مع زوجته الجديدة عيشة سعيدة ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ماعطونا » .  
وقد لاحظ الباحث أن الراوية عادة ماتكون امرأة طاعنة في السن ، أو بعبارة أكثر وضوحا ، المرأة المتزوجة والكبيرة ، حيث تتكلم في كل الأمور بلا خجل أو حرج ، خاصة إذا كان الحديث حول موضوع جنسي أو غيره ، أما البنات الصغيرات اللاتي لم يتزوجن بعد ، فلا يخضن في مثل هذه الأحاديث إلا فيما بينهن ، لذا فانهن يتوارين خجلا إذا ماسمعن شيئا من هذا القبيل ، أو ينسحب من الجلسة إن كنَّ موجودات فيها وكثر الحديث في هذا الموضوع . وتقول الراوية <sup>(١)</sup> : « ما عليكن ، أنتن مثل بناتي » . أو إذا كانت الحكاية للعظة الدينية أو للتنبيه على أمور دينية ، فتقول الراوية : لاهياء في الدين ، الواحدة منا لازم تعرف أمور دينها أحسن ماتظل جاهلة ، وديننا واضح مايحتاج » .

وتستمر النساء مع بعضهن بعضا يستمعن إلى المحدث ، إلى أن تنسحب إحداهن ، فتقوم ومعها قريباتها ، وعندئذ تنفض الجلسة ، بعد أن يكن قد تحدثن بالكثير من الحكايات والأحاديث .  
ونتيجة لهذا القصص في المجالس الرجالية والنسائية وكذا في البيوت ، يخرج الأطفال من مختلف الأعمار يحملون الحكايات الشعبية ، فيحيون هذا القصص ، يسرد ماسمعه من أهاليهم من حكايات على زملائهم وزميلاتهن .

فالأطفال هم أدق آلات التسجيل البشرية <sup>(٢)</sup> لأشرطة الحكايات والحزايي تحدوهم الرغبة على الاكتشاف ، ويدفعهم حب التعرف على المرئي والمجهول من العالم الذي يحيط بهم ، وحبهم كذلك على المحاكاة والتقليد لأمر كثيرة ، في هذه الحياة ، فهم أشد ما يكونون إصغاء للأحداث والأسهاب في تفصيلها . وعليه فهم خير مادة يمكن أن نعتمد عليهم في النقل للحكايات ، اذ عندهم حب المحاكاة ونقل الشيء بحذافيره ، وخاصة ماكان منه خارقا ، فهم يتوقون إلى سماع حكايات الجان والغول ، وما إلى ذلك من حكايات تتحدث عن الخوارق والمجهول وغير المحسوس . وهم يتباهون بهذه الحكايات أمام أقرانهم ، ويملأهم الزهو والكبر عندما يتحدثون بوحدة منها ، كما حدث في حكاية « الرجل ووالدته » - التي سمعها الباحث في مجتمع القرية - حين ذهب من جزيرة أم عبرة لاجتياز الماء على الحمير ليلا ، وسمعا صياح طفل صغير ، وتبين بعد ذلك أنه جنى . وسوف نذكرها بالكامل فيما يستقبل من حديث .

ويحرصون الحرص كله على أن يستمعوا إلى المزيد منها كل ليلة من أبويهما ، حتى يحاكيها الطفل ويعيدها ، أو يعيد أجزاء منها أمام أقرانه ، وما على الوالد إلا حفظ المزيد من هذه الحكايات حتى يستر وجهه أمام طفله .

---

(١) فاطمة حمود السليطي - الدوحة - فريق السلطة الجديد - ٩٠ سنة .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - القاهرة - رسالة ماجستير - ١٩٧٢ م .

حدثني عبد الله قافود<sup>(١)</sup> قال : « مررت مرة بأبنائي الصغار وهم يجلسون مع زملائهم بجانب حائط البيت ، فسألتهم فيم يتحدثون ؟ فأجاب ابني : نحكي حكاية « المرأة والحصار » التي حدثتنا بها ليلة أمس . قلت له : كمل يايبا ( أبي ) ماعليك . فأخذ يتابع حديثه بكل تلذذ إلى أن أنهى منها . وتحكي الحكاية فتقول : « هاك هالعجوز ، إللي عندها حمار ودياية ( دجاجة ) وبطة وبشة ( إوزة ) وقطوة ( قطه ) وحمامة وعنز .

قامت العجوز وسارت وبابت الحب وجففته في الشمس ، وقالت لهم : باروح عاد بايب<sup>(٢)</sup> الرّحى . قالوا : انزين . وراحت وبابت الرّحى ، ويوم جابته ، قام الحمار وأكل الحب وتوارى في مربطه . قالت العجوز : من أكل الحب ؟ قالوا : ماندرى . قالت : تعالوا واحفروا حفرة ، ويوم احفروا الحفرة . يابت العنز وقالت لها : اشقحي ( اقفزي ) . قالت العنز : أنا العنيزة عزعز ، وكان كليته عزعز ، في ذا العوينة عزعز ، ربي محني عزعز . شقحت وطافت ( تخطت ) . يات الدياية ، ( الدجاجة ) وقالت : أنا الدياية ، دّي ، دّي ، كان كليته دي دي ، ربي محني دي دي ، في ذا العوينة دي دي ، وشقحت ماجري لها شيء . يات البشة ، وقالت : أنا البشيشة ، بش بش ، وإن كان كليته بش بش ، في ذا العوينة بش بش ، ربي محني بش بش ، وشقحت . يات البطة وقالت : أنا البطيطه ، وإن كان كليته بط بط ، في ذا العوينة بط بط ، ربي محني بط بط وشقحت . يات الحمامة وقالت : أنا الحميمة حم حم ، وإن كان كليته حم حم ، في ذا العوينة حم حم ، ربي محني حم حم ، وشقحت ماتمعورت . يات القطوة وقالت : أنا القطيوة قط قط ، وإن كان كليته قط قط ، في ذا العوينة قط قط ، ربي محني قط قط ، وشقحت ماجري لها شيء . ويوم يا ( جاء ) الحمار قال : أنا الحمير حر حر ، وإن كان كليته حر حر ، في ذا العوينة حر حر ، ربي محني حر حر ، وشقح وطاح في الحفرة ومات . قالت العجوز : يا الله قوموا دفنوه ( ادفنوه ) ولما دفنوه ، قامت البطة تصيح ( تبكي ) وتقول : واعليّه هذا أبونا ، يجيب الماي ( الماء ) وييب الأكل ماعندنا أبو غيره ، قاموا وصاحوا ثم قالوا : عَيْلُ خُلْ نحفر عنه . وتمّوا يقولون : حَفَرُوا أبونا ، حَفَرُوا أبونا يوم حَفَرُوهُ لقوه ميتا وقعدوا يصيحون عليه<sup>(٣)</sup> .

(١) عبد الله قافود - الدوحة - ٥٤ سنة .

(٢) باروح عاد بايب الرّحى : اذهب لاحضار الطاحونة .

(٣) وما أن سمع الباحث هذه الحكاية حتى تذكر حكاية كانت تقال في مدينة الخليل من أعمال فلسطين المحتلة ، تشبها إلى حد ما وإن كانت تختلف عنها في الطريقة التي عولجت بها والأداء في العبارات والمخارج ، ولما كانت معظم القبائل الموجودة في فلسطين قد انحدرت تقريباً من الجزيرة العربية عن طريق الهجرات . أذن فيمكن القول بأن أصل هذه الحكاية ، وربما حكايات أخرى واحد . ونقول الحكاية : « أراد الحمار أن ينج ، فسار في الطريق ووجد كلباً ، فقال له الكلب : إلى أين تذهب يا عمي الحمار ؟ فقال : رايح أحج . فقال الكلب : خذني معك ، فأخذته الحمار معه ، وسار الاثنان ، إلى أن التقيا مع الغنمة ، فقالت : إلى أين تيممون ؟ فقالا : إلى الحج ، فانضمت إليهما ثم سار الجميع ، والتقوا بالبقرة . فقالت لهم بعد أن عرفت وجهتهم : خلوني معكم ، ثم انضمت إليهم . وفي الطريق التقوا بالديك فسألهم عن وجهتهم ؟ فأجابوه : نريد أن نحج ، فسار معهم . - ويذكر في العادة جميع =

ويعتبر الأطفال من الناقلين الموقنين للحزايي الشعبية ، نظرا لمحبتهم لها وتأثيرها في نفوسهم . ونستطيع أن نعرف مدى تأثير هذه الحكايات في الأطفال حين يتركون لعبهم وهو أعظم شيء عند الطفل ليجلسوا على حجر في الطريق أو عند الحديقة ، ويبدأون في القص . وتبقى هذه القصص معهم إلى أن يكبروا ، وقد تؤثر على سلوكهم في الحياة إذا كانت هادفة تدعو إلى الفضيلة والخلق . وقد تؤثر على مجرى حياتهم أيضا إذا كانت مرعبة فتطبعهم بالجبن . لذا نجد الآباء والأمهات والجذات في قطر يحرصون في قصصهم أن يتحدثوا عن أمور هامة وتعليمية تربي الخلق ، ويتعدون عن كل مخيف ومرعب ومثبط للهمم .

كل ذلك يجعلنا نركز على دور الأسرة بمتسعتها وضيقها في حمل التراث الشعبي من الحزايي والسوالف ، لأنها تستقبل وترسل منها وإليها ، تتسع وتضيق ، فمن داخل إلى دائرتها إلى خارج منها مدام جزرا .

وواضح أن هذه الأسرة المحدثة ذات الأثر الواضح في النقل لا بد أن تتركز في شخص الراوي الأول أو الراوية الأولى ، كما سيأتي عند الحديث عن الرواة وأثرهم في النقل والتحريك . وتختلف الأسر ، من أسرة لأخرى . فقد تضم بعض الأسر رواة أفذاذا يحملون الحزايي والسوالف ، وبعضها لا يضم مثل هؤلاء الرواة . لذا يمكن أن نعتبر هذه الأسر ذات أثر فعال ، والأخرى لا أثر لها في النقل والتحدث .

---

= الحيوانات والطيور التي يجلبها الطفل - وسار الجميع في الطريق ، ولما تعبوا ، قرروا أن يناموا في أرض على جانب الطريق ، وكانت هذه الأرض مزروعة بالقرنبيط .

ولما نام الجميع قام الحمار إلى القرنبيط فأكله . وفي الصباح أتى صاحب الأرض ليرى أرضه وقد أكلت ، فأمسك بهم واتهمهم بأكلها ، فلم يعترفوا . فقرر صاحب الأرض أن يحتكموا إلى البحيرة ، وذلك بأن يغطس الواحد فيهم في البحيرة ، فإن كان صادقا لا يموت وإن كان كاذبا سيموت . فرضوا بهذا الحل وذهبوا إلى البحيرة ، ونزل الكلب وقال : عو عو كان أكلته ، عو عو كان شربته ، عو عو اغطس ما اطلع ، عو عو في البحيرة ، غطس وطلع . وجاءت الغنمة فقالت : ماء ماء كان أكلته ، ماء ماء كان شربته ، ماء ماء اغطس ما اطلع ، ماء ماء في البحيرة . غطست وطلعت . ثم جاءت البقرة وقالت : باء باء كان أكلته ، باء باء كان شربته ، باء باء اغطس ما اطلع ، باء باء في البحيرة . غطست وطلعت . وجاء الديك فقال : كوكو كان أكلته ، كوكو كان شربته ، كوكو اغطس ما اطلع ، كوكو في البحيرة . غطس وطلع . ثم جاء أخيراً الحمار فقال : هاء هاء كان أكلته . هاء هاء كان شربته ، هاء هاء اغطس ما اطلع ، هاء هاء في البحيرة . غطس وما طلع ، وهذا هو جزاء الكذاب اللص .

وهكذا يمكن اعتبار هذه الحكايات من حكايات الحيوانات المهادفة للأطفال . فالقصد منها أن يتعلم الأولاد تقليد أصوات الحيوانات كما يتعلمون الصدق الذي يُنجي ، ويتعدون عن الكذب الذي يهلك كما حصل مع الحمار الذي هو محور القصتين القطرية والفلسطينية . فنجد في القصة القطرية قد وقع في الحفرة ، على حين نجده في القصة الفلسطينية قد وقع في البحيرة . لقد استعملت كل جماعة معطيات بلدها ، فقطر أرضها رملية صحراوية لا يوجد بها بحيرات ، لذا اختاروا الحفرة كمكان عقاب للكذاب ، وفي فلسطين توجد البحيرات ، مما دعاهم إلى أن يختاروها مكاناً لعقاب الكذاب كما أن القصة القطرية تبين هذا في بعض الروايات التي كانت تروي . فقد كانت تروي ، على أن الحمار حمل جميع الحيوانات إلى الحج ، واختيار الحج هنا دليل أن الكذاب يبقى كذاباً حتى لو ذهب إلى أقدس بقعة بأقدس أمنية ، وهي الحج . وهناك مثل فلسطيني يقول : « الحج حج والغمرة العتيقة فيه » .

## « المدن »

يحفل المجتمع المدني القطري بالموروثات الشعبية القولية ، كما يحفل به المجتمع الريفي ، فالحكايات في المجتمعين متقاربة ، إن لم تكن متشابهة ، فهم يعيشون حياة واحدة ويرتدون نفس اللباس تقريبا ، ومظهرهم وعاداتهم واحدة ، غير أن أمائر ومظاهر المدنية تجدها بينة وظاهرة في المدينة عنها في القرية .

ولقد شهد الباحث بنفسه التجمع حول العجائز في المدن من أجل الاستماع إلى الحزاوي والسوالف في فصل الشتاء ، وفي فصل الصيف ، حين أتاح له صديق عزيز هذه الفرصة النادرة التي لا يمكن أن تتكرر نظراً لصعوبة لقاء النساء في هذا المجتمع ، وتم هذا من خلال غرفة لصديقه تُطل على مجلس ، كانت النساء مجتمعات فيه يستمعن إلى عجوز كبيرة في السن ، تحدثن بالسوالف العديدة ، كسالفه الشاطر حسن ، وفسيجرة التي سمعها الباحث في تلك الجلسة .

وتحدث الجدات والأمهات أبناءهن بالحزاوي ليلاً قبل النوم تماماً كما في القرية ، اذ يتحلق الأولاد والبنات حول الأم أو الجدة ويقولون لها : حازينا يايمًا ( أمي ) بحزاية زينة ، فتشرع الأم بالحزاية إلى أن تنتهي وتأتي بغيرها ، إلى أن ينام الأطفال .

وقد يحدث أن تبقى بقية من حزاية الليلة التالية ، فتقول الأم أو الجدة ، وين وصلنا بأولاد الليلة السابقة ؟ فيقولون : عند كذا ، فتقول إنزّين ، صلوا على النبي وتكمل الحزاية ، وتشرع في غيرها إلى أن يخلد الأولاد للنوم كالليلة السابقة .

وهكذا تستمر الجدة أو الأم أو الأخت الكبيرة - إن وجدت - في سرد الحزاوي كل ليلة كوسيلة حية مشجعة لنوم الأطفال .

كل ذلك يحدث مع المرأة الحضرية في المدينة كما أخبرني به خليفة السيد العطار . فقد كان يقول : « كنا نعيش في مدينة الدوحة ، وكانت هذه عادتنا كل ليلة سواء في الصيف أم في الشتاء ، وأنا أطبقها على أبنائي ، في هذه الأيام ، وإن قلّت عن ذي قبل فبسبب مشاغل الناس الكثيرة ، وبسبب انشغال الأبناء في دروسهم .

وكنت أجد متعة كبيرة حين أذهب إلى خالتي وأنام عندها ، فأجدها تحازي أبنائها إلى أن يناموا وأنام معهم » .

وحين سأله عن مدى انتشار هذه العادة في مجتمع المدينة ؟ قال : لقد كان الجميع يعمل هكذا ومازالوا ، غير أنه الآن أقل من قبل للأسباب السالفة الذكر .

أما الرجال ، فيجتمعون في مجالس بعضهم بعضاً ، ويسولفون بالسوالف ويتسلّون بها لإذهاب النّصب ومشاغل الحياة عنهم ، التي أخذت عليهم سبل حياتهم ، وجعلتهم لا يجتمعون إلا قليلاً في هذه المجالس إذا ما وجد الواحد منهم وقتاً عنده .

ومن السوالف التي سمعها الباحث في مجلس « عبد الله بن سعد »<sup>(١)</sup> من مدينة الخور السالفة التالية التي سبق له سماعها من قبل في الريف القطري ، وهذا دليل قوي على أن ما يسمع في الريف قد يسمع في المدينة أو بعضه .

تقول السالفة : « صلوا على النبي ، في يوم من الأيام ذهب رجل ووالدته على الحمير لإحضار الماء من منطقة قريبة لهم ، سارا في الليل من جزيرة « أم عبدة » القريبة من مدينة الخور ، وبينما كانا في الطريق ، سمعا صياح طفل صغير في مكان يسمى ( حنث اليع ) فالتفتا إلى مكان الصوت ، فلم يجدا أحدا ، غير أن الجن أخذوا يقذفونهما بالحجارة وعرقلوا سير الحمار والكلب اللذين كانا معهما . وبعد أن تخطيا الطريق شاهدا رجلا على جمل أبيض ، فلما أشارا إليه قال لهما : صُ ، واختفى من قريهما » .

هذه الحكاية تتحدث عن الجن الذي يعترض الناس في طريقهم ، وهذه الحكايات كثيرة ، ويتفنتون في إلقائها ، وتعتبر عندهم من المسلّمات ويذكرونها على أنها من حكاياتهم الواقعية ، وربما يكون في كلامهم بعض الصحة ، نظرا لاعتقادهم بوجود الجن ، الذي ذكر في القرآن الكريم . بيد أن العوامل النفسية تلعب كثيرا هنا في عقولهم ، فالتصورات والتهويزات كثيرة لأنهم يخرجون من بيوتهم وهم يحملون هذه الأفكار ، مما يجعلهم يتصورون كل حركة بأنها من الجان ، وأن كل صوت يخرج من الطبيعة هو صوت جني . وقد حدثني أحدهم<sup>(٢)</sup> بأن بعض الناس كان يختبئ في المقابر أو وراء حجر ليقوم بإخراج أصوات معينة أو الرمي بالحجارة ، فينخلع قلب هذا السائر في الطريق أو ذاك .

وسمع الباحث أيضا حكاية « من ذاق عشب بلده رجع إليه »<sup>(٣)</sup> وتحكي فتقول : في زمن من الأزمان ، كان رجل يمتلك ناقة ، يعزها كثيرا ، فهي مصدر خير وبركة له ، وذات يوم حضر ضيوف ونزلوا عند الرجل ، وأقاموا في بيته يوما كاملا ، فرحب بهم أجمل ترحيب . وفي الصباح أرادوا الرحيل إلى قبيلتهم في « عُمان » فقام رجل من الضيوف ، وقال لصاحب البيت : أعطني نافتك لأعود عليها إلى بلدي ، فقد أحببتها كثيرا ، فقال له الرجل : ماتعز عليك<sup>(٤)</sup> ، بس ما عندي سواها فسكت الرجل وأضمر في نفسه أمرا . وفي الليل قام الضيف إلى الناقة وسرقها وذهب بها إلى بلده عمان . مرت الأيام والسنون ، حملت الناقة وأنجبت العديد من البطون ، بلغت حوالي ستة عشر بغيراً وناقة . كبرت البعرة بحيث أصبح عند هذا الرجل ثروة لا يستهان بها من وراء هذه الناقة المسروقة .

وذات يوم جاء رجل من قطر إلى عُمان يبيع بعض الأعشاب من مراعي قطر ، وصدف أن كان الرجل العماني في السوق قاشترى بعضها لبعمرانه وقدمها لهم ، ولما أكلت الناقة الأم من هذه الأعشاب تذكرت موطنها قطر ، وطعم مرعاه ، فحنّت إليه ، ثم قطعت حبلها وذهبت إلى قطر بعد أن تركت عمان ليلاً .

(١) عبد الله سعد - الخور - ٦٠ سنة .

(٢) صالح زايد - الدوحة - ٦٠ سنة .

(٣) عبد الله بن سعد الشاعر - الخور - ٦٠ سنة .

(٤) ما تنعز عليك : لا أضن بها عليك .

وفي الصباح كانت قي قطر عند باب الرجل صاحبها الأول ، فلما رآها عرفها ، ولكنه اندهش من منظرها الذي غيره الدهر ، فقد هزمت وهزلت بعد هذه المدة وتلك الظروف ، فقام الرجل واحتضنها وأخذها وأطعمها واحتفظ بها .

أما الأطفال في المدينة فمثلهم مثل أطفال القرية ، ينقلون هذه الحزاوي والسوالف إلى أترابهم من أبناء الجيران وأبناء المدرسة ، ويتحدثون بها ماوسعهم التحدث ، فابن الابتدائية يحمل الحزاوي التي سمعها من والدته أو جدته أو والده وينقلها إلى زملائه بأسلوبه الذي لم يتضج بعد وقد ينسى بعضا منها أو يضيف جزءاً إليها ، وهو بهذا العمل ناقل أمين بيد أنه يتحدث بما فهمه ، فقد يفهم الشيء بحذافيه كما حكاه له والده أو والدته أو جدته ، وقد يفهمه معكوساً أو مبتوراً ، فيحكيها بما استوعبه منها ، والأطفال من حوله سعداء بما يسمعون .

وقد يحدث أن يعرف هذه الحزاوية طفل آخر ، فيكون والحالة هذه مصححاً لما يقول إن أخطأ أو سندا مؤكداً له إن أصاب ، كما حدث مع عبد الرحمن بن سعيد مسعد ، حين حكى حزاوية « أم حمار » على زملائه ، فأيده بعض الأولاد وخالفه بعضهم في صفاتها وشكلها . وابن الإعدادية ، ينقل ما سمعه من الحزاوي إلى زملائه ومعارفه في الفريج ( الفريق ) ويجري معه كما جرى مع ابن الابتدائية من موافق أو معارض . وكذا ابن الثانوية والجامعة ، ينقل ما سمعه من أهله لزملائه ومعارفه .

وقد شاهد الباحث هذا الأمر بنفسه حين كان يدرس في مدرسة الإستقلال الثانوية سنة ١٩٧٥ م فقد طلب من تلميذ له في السنة النهائية أن يقص عليه سالفة أو حزاوية كان قد سمعها من والده أو والدته أو جده أو جدته ، فقام التلميذ واسمه « راشد بن سعيد » وحكى سالفة فسيجرة وكذلك قام طالب آخر اسمه « علي بن أحمد » حكى حكاية « سرور » وقد سرداها بأسلوب جيد ومفهوم . فسألها الباحث هل غيرتما شيئاً أو نسيتما شيئاً منها ؟ فقالا : لا . بل كما سمعناها من البيت . فسر الباحث منهما ، لأنهما استطاعا أن يحكيا الحكايتين كاملتين دون نقص أو زيادة تماماً كما كان قد سمعهما الباحث في مجالس الرجال من قبل .

وتجد مظاهر المدينة واضحة في بعض عاداتهم كالزواج مثلاً وفي طراز البيوت وهذه المظاهر لاتعينا هنا في شيء .

أما لهجة أهل المدينة في الحكاية ، فتعتمد الرقة والمد في مخارجها فمخارج الكلمات ناعمة ، بعيدة عن الجزالة ، وقد تستعمل المحدثات أو يستعمل المحدث بعض الكلمات الأجنبية<sup>(١)</sup> في حكايته ، كأن يستعمل كلمات إنجليزية وأخرى فارسية أو غير ذلك ، أتته من استعمار الانجليز لقطر في السابق ، ولقرب قطر من إيران ، فتأثرت بعدد من الكلمات والعبارات دخلت إلى صلب الحكاية ورددها الرواة في أثناء قصصهم للحكاية ، كما في حكاية « الشاطر حسن » وحكاية « محمد الشاطر وبنت مطلع الشمس » .

(١) مثل : هست وايد ، آيل ، ليت .

## « البادية »

ويشارك مجتمع البادية في حمل الحكاية الشعبية أو الحزاية الشعبية ، ينقلها من جيل إلى جيل عبر الدهر والأزمان حيث أن بدو قطر الذين يعيشون في البراري يمثلون جزءاً كبيراً لا يستهان به من السكان فيسكن بنوهاجر الساحل الغربي من قطر ، وقبائل النعيم التي استقرت في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة ، وقبائل المناصير التي تتخذ من جنوب قطر مسرحاً لها ، وقبائل المرة التي تعيش في جنوب غرب قطر حتى الحدود السعودية ، علاوة على قبائل الكعبان ، التي استقرت في براري قطر الشمالية والغربية . ولم تتوفر أية إحصاءات عن هذه القبائل لعدم استقرارها في مناطق محددة .

وتحفل مجالس النساء عندهم بالسوالف الزينة - على حد تعبيرهم - فتجلس النساء مع بعضهن بعضاً يتحدثن في أمورهن العامة والخاصة ، وتقوم على تحديثهن امرأة شيخ القبيلة ، إن كانت في تلك الجلسة أو أية امرأة طاعنة في السن ، فتحدثهن ببطولات شيخ القبيلة عندما أغارت القبيلة الفلانية عليهم في السنة الفلانية ، وكيف أنه أبلى بلاء حسناً في الذود عن حمى المضارب ، أو كيف أنه غزى القبيلة الفلانية وغنم منها الغنائم الكثيرة ، أو تحدثهن عن الغول والجان ، فهو كثير عندهم ، كما ذكر لي « حمد بن محسن النعيمي » ، لذا نجدهن يلهجن به كثيراً في أحاديثهن .

ومن السوالف التي سمعها الباحث سالفه « الجنى الذي يرحم الناس بالحجارة في الليل » وسالفه « الجنى الخروف » .

هذا ما يحدث بين النساء في شق الحريم ، حين يجتمعن مع بعضهن بعضاً ، أما حين تخلو المرأة بأبنائها في شققهم الخاص ، فإنها تسولف عليهم السوالف الكثيرة ، وتحازيهم بالحزايي الزينة ، كي تدخل إلى نفوسهم السعادة ، ومن ثم يخلدون للنوم ، وبالتالي ينقلونها إلى زملائهم في الصباح . ومن الحزايي التي سمعها الباحث هذه السالفه التي تتحدث عن « غزية العنزى »<sup>(١)</sup> . يحكى أن بنت عقاب العواجي العنزى ، وتدعى « غزية » فقدت أهلها ولجأت إلى عُمان ، وكان لها ابن عم أحبته ، فسار في طلب الرزق مع صاحب له يدعى « عيد » وتغيباً مدة تقارب ثلاث سنوات ، ثم رجع « عيد » وكان في الحي رجل يرغب في الزواج من هذه الفتاة ، لكنه يعلم أنها لن تقبله لحبها ابن عمها ، فقابل عيداً وقال له : لك عندي جمل إن أشعت أن ابن عم غزية قد مات ، لعلها تتزوجني بعد أن تيأس منه ، فلبى عيد طلبه وأشاع أن صاحبه ابن عم غزية قد مات ، وحين سمعت غزية بالخبر حزنت أشد الحزن عليه ، وقيل أنها ماتت حزناً وكمداً على ابن عمها بعد سماع شعر عيد ، ولما عاد ابن عمها ، وعلم بما فعله عيد من أشاعته خبر موته ، وعلم بوفاة غزية ، قام وقتل « عيداً » جزاء العمل الذي عمله .

---

(١) رواها حمد بن محسن النعيمي - الدوحة - موظف - ٤٥ سنة .

وسالفة « الجنى المقلد » الذي كان يقلد المسافرين في كل شيء ، ولما أراد المسافر أن يتخلص من هذا الجنى أتى بـ « دهن » وأخذ يتظاهر أنه يمسح على رأسه من هذا الودك ، حتى روى شعره من الدهن ، ثم أخذ شعلة من النار ، وجعل يمر بها حول شعر رأسه كأنه يريد أن يذيب الودك ليختلط بشعره ، ففعل الجنى (الغول) مثل ما فعله ، فاشتعلت النار في الودك والشعر ، حتى مات الجنى وتخلص المسافر منه .

أما الرجال فيجتمعون في مجلس رئيسهم أو كبيرهم ، ويأتي الشاعر ومعه ربابته ويجرها بشجي الألحان ، ويذكر القصائد الشعرية لبعض شعراء البدو أوله ، إن كان شاعرا مكثرا ، ويتحلق من حوله الجميع . وفي هذه الأثناء تدار القهوة العربية ، فيحتسبها الجميع ، بينما يحمل بعض البدو الصقور التي يصطادون بها الحبارى والأرانب ، سواء أكانت لهم أم لشيخوهم وغالبا ماتكون لشيخوهم . وتنصب موضوعات الشعر وكذا الحكاية عندهم على الحب والغزل والشهامة والمروءة والشجاعة والبطولة وذكر الحروب التي مرت عليهم ، والغزوات التي قاموا بها ، والثأر ، وما إلى ذلك من أمور . وكذلك الصعاب التي يلاقونها مع ابلهم في الصحراء في البحث عن العشب والماء ، مما يجعلنا نجزم بأن حكاياتهم تكاد تخلو من العنصر الخرافي والأسطوري ، فهم يعيشون الواقعية ولا يشطحون أبدا ، يعتمدون على البساطة والأمور المشاهدة عندهم .

ونظرا لضيق مساحة قطر فإنه لا يوجد كبير فاصل بين البادية والمدينة والقرية ، فما يحكى في البادية ينتقل إلى الحاضرة ، ويجد هوى في نفوس أهل المدن والقرى . ويرجع السبب في ذلك إلى سبل الحياة التي جعلت كثيرا من هؤلاء البدو يعيشون في المدينة والقرية ، ويحتكون بأهلها ، يأخذون ويعطون ، إضافة إلى قرب البادية من هذه المناطق ، وهذا يفسر ميل الناس جميعا في قطر إلى خشونة المظهر والصفات ، وإن كانت هذه الصفات تختلف حدة من منطقة لأخرى .

ومن الحكايات التي سمعها الباحث من البدو حكاية « الكرم »<sup>(١)</sup> التي تحكي : « أنه في قديم الزمان كان الناس ينتقلون من مكان لآخر ، بحثا عن الماء والكلا ، الذي كان يندرويعز في بعض الأوقات مما يضطرهم إلى أن يحفروا الأرض بحثا عن الماء ، ويذهبوا بعيدا بحثا عن العشب .

وفي يوم من الأيام خرج رجل للقنص هو وابنه ، وبينما كانا سائرين في الطريق ، هبت رياح شديدة تحمل معها الرمل والأتربة ، فجفلت الجمال وخافت ، فركضت بدون وعي ، حتى وقع الرجل وابنه على الأرض فاقتدي الوعي ، وبعد فترة عادا إلى رشدهما ، فوجدوا نفسيهما وحيدين بلا أهل ، بحثا عن الطريق فلم يجدا له أثرا بعد أن غطته العاصفة الرملية ، وأخذ الماء ينقذ منهما قليلاً قليلاً حتى قارب على النضوب ، والجمال في العادة تحتاج إلى كمية كبيرة من الماء والرجلان كذلك ولما نفذ الماء نهائيا ، تعب الرجل من شدة العطش بعد أن بحث عنه كثيرا ولم يوفق . نام وسلم أمره الله ، وفي الصباح

---

(١) راشد ابراهيم المسند - الخور - مقال - ٥٥ سنة .

قام وهو لا يقوى على النهوض وذهب للبحث عن طريق يوصله لأهله وأقاربه ، فمشى وقتاً طويلاً وهو في غاية الإعياء ثم جلس يجيل النظر للسماء الكبيرة الواسعة ، فلما رأى الشمس قد أوشكت على المغيب جلس يفكر فيما سيجري لآخوته وأهله بعد مغيبه الطويل ، فقام وهو كالميت يبحث عن طعام أو شراب علّه يجد شيئاً يقيم به أوده وأود ابنه ، الذي كان هو الآخر بحالة سيئة جداً . فرأى عصفوراً ، فضربه بحصاة ، بعد أن منحه الله القوة فأصاب الطير ووقع ومات . فأخذ الرجل وأشعل ناراً وشواه وأكله هو وابنه ونام وهو يفكر بأهله ، فلما صبحا في الصباح وجد نفسه وابنه في خيمة كبيرة ، فنهض من نومه وجاءه رجل بدوي فسقاه الماء وأعطاه الطعام وحكى له كيف وجدتهما نائمين في الصحراء وكيف أنقذهما وأحضرهما إلى هنا . فرح الرجل وشكر له صنيعه هذا وطلب منه أن يرده إلى أهله ووطنه . وفعلوا قام البدوي في الصباح ووضعهما على جمل وسار بهما في الاتجاه الذي وصفه الرجل ، وهو مكان العشيرة . ولما وصلا أكرم الرجل وأهله وفادة البدوي وشكروه على هذا الكرم .  
وحكاية « الثأر الذي تحول الى كرم وشجاعة »<sup>(١)</sup> .

تقول الحكاية « في يوم من الأيام ، قتل رجل رجلاً آخر ، فأصر أهل المقتول على الأخذ بالثأر ، مما جعل القاتل يرحل هو وزوجته وأولاده ويسكن في مكان بعيد ، ويأخذ حيطته فكان لا ينام في بيته بل يعدد الأماكن التي ينام فيها حتى لا يعرف طريقه أهل المقتول ، مضت أيام وسنن على هذا الحال . ذات يوم قام رجل من أقارب القاتل وظل يتعقب أثر القاتل ويسأل عن بيته إلى أن وصل ، وربض في مكان قريب من البيت ، ينتظر القاتل حتى ينقض عليه ويقتله ، وبينما هو كذلك ، جاء سارق إلى البيت ، وحاول سرقة بعض الأغراض ، فشعرت به امرأة القاتل ، فقامت بهدوء وأمسكت بالسارق ، وأخذت تستنجد : « الحقوني » ، السارق عندي ، يا أهل الديرة ، يا . . يا ؛ فأخذ هذا الرجل يفكر ، هل يظهر وينقذ المرأة من هذا السارق ؟! وفي هذه الحالة تنهار خطته في قتل الرجل ، أو يبقى ويترك السارق ؟! فكر قليلاً ثم قرر أن يخلص المرأة من السارق ، فقام وأطلق رصاصة على السارق فأصابه ، غير أنه تمكن من الهرب . وقامت المرأة تقدم الشكر له على هذا الصنيع ، ولما رآته عرفته ، ثم أخذت تصبح ياليت بقي السارق وسرقني ولا أشوفك هنا ، فأنت قد أتيت لقتل زوجي ، فقال لها : نعم وأين هو ؟ قالت له : منذ ذلك اليوم الذي قتل فيه لم ينم هنا ، فهو يتنقل هنا وهناك خوفاً من القتل ، لأنه قاتل ، ولما عرف الرجل هذا الكلام قال : يكفيه هذا التشرّد وهذا القلق ، فقال لها : يا حرمة ، لقد عفوت عنه وهات قهوة كي يصبح بيننا عيش وملح ، وجلس يتقهوى<sup>(٢)</sup> . وفي هذه الأثناء جاء الرجل إلى بيته ، ولما رآه صعق ، ولكن الأخير قال له : لا تخف لقد عفوت عنك ، وعَدَّ ( حكى ) له السالفة التي حدثت معه ومع السارق ، ثم اصططحبه هو وأسرته إلى قبيلته وبلده .

(١) حمد بن محسن النعيمي - الدوحة - موظف - ٤٥ سنة .

(٢) يتقهوى : عبارة يستعملها أهل المنطقة ومنها قطر بمعنى يتناول القهوة .

وحكاية الغزو<sup>(١)</sup> التي تقول : في الزمن الماضي كان الناس فقراء وكانوا يستعملون السلب والنهب في الحصول على لقمة العيش ، وفي يوم من الأيام صمم رجل على الكسب ، سار إلى أن وصل بيتا فرأى ناقة معقولة ، اقترب منها وحاول فك العقال ، وفي تلك الاثناء أدركه صاحب البيت فأمسك به وتعاركا ، وكان الإثنين قوين ، ولما رأى اللص أن صاحب البيت ممسك به ولا يستطيع الخلاص منه ترك ثوبه له ، نظرا لسعة الثوب في ذلك الوقت وهرب عاريا ، وظل يسير إلى أن وصل إلى غار ودخله ليتقي برد الشتاء القارس . إذ كان الجو وقتها باردا ، وأحضر شجرة ووضعها على باب الغار درءا للمخاطر والبرد والهوام ، وبينما هو في الغار إذ بقافلة تمر من جنبه مكونة من رجلين ومعهما بعيان محملان بأغراض كثيرة، وكانا عائدين بهما إلى أهلها. ولما كان الوصب والتعب قد أخذ منها كل مأخذ ، فقد قررا أن يجلسا بجانب الغار للراحة والأكل . فعلا جلسا وأشعلا نارا وأخذا يأكلان ثم أضجعا بكل غبطة وسرور بجانب الغار . في هذه الاثناء تحرك الرجل في الداخل فتحركت الشجرة نتيجة لحركته ، فرآها أحدهما ، فقال للآخر بعد أن هبّ مذعورا : أنظر ، ترى الشجرة تتحرك ! فقال له رفيقه : بس ، اسكت ، أنت خائف لا اكثروا أقل ، ابتعد وأنا أجلس مكانك . ولما جلس عرف الرجل الذي بداخل الغار مبلغ خوفهما - نظرا لسيادة الاعتقاد بوجود الجن - فقرر أن يحرك الشجرة ثم يحملها ويخرج ، ولما فعل ورأياه عاريا اعتقدا أنه الجني فهربا وتركوا كل شيء من الاغراض والسلاح والثياب ، حتى البعيرين تركاهما ، وحين تواريا عن الأنظار جلس الرجل وأكل حتى شبع ثم لبس بعض الثياب اتقاء من البرد ، وأخذ الجميلين وعاد إلى أهله ظافرا .

كل هذ الحكايات المذكورة وغيرها هي ترجمان صادق لحياة البدو ومبيل حياتهم الإيجابية : التي تقوم على الكرم والشجاعة والمروءة والأخذ بالثأر ، وما إلى ذلك من الصفات والسمات الجليلة . والسلبية : التي تقوم على الغزو والنهب وغيرها .

وتقوم الحكومة القطرية الآن على توطين البدو في مجتمعات سكانية على عدة أشكال منها :

١ - المدن المجمع .

٢ - القرى المجمع .

٣ - القرى الصغيرة .

وعندما يتم هذا العمل سيكون ظاهرة جديدة تستحق دراسة جديدة . ولاغرو أن مثل هذه التطورات والتجمعات ستعمل على تغيير نمط الحياة لتلك القبائل البدوية التي ستستقر وتزداد دخولها مما ينعكس أثره على حياتهم بالرخاء .

« وعملية توطين البدو ضرورة اجتماعية واقتصادية إذ تحول البدو من حياة الترحال والتنقل وراء

---

(١) حمد بن محسن النعيمي - الدوحة - موظف - ٤٥ سنة .

الكلا والماء إلى حياة الاستقرار والمساهمة الفعالة في جميع الأنشطة وبناء المستقبل الاقتصادي للبلاد»<sup>(١)</sup>.

هذا ما كان عن القرية والمدينة والبادية ، أما عن طبقات المجتمع الواحد المتمثلة في الطبقات الراقية من حيث الغنى والجاء ، والطبقات المتوسطة وكذلك الفقيرة ، فإننا نجد أن هذه الطبقات جميعا ماتزال تحافظ على موروثاتها الشعبية ، من حكاية شعبية وغيرها ، مع اختلاف في درجة المحافظة ، وبناء على ذلك يمكننا أن نذكر أن الطبقة الغنية جدا ، هي طبقة الشيوخ وكبار التجار والملاك . والطبقة المتوسطة ، هم أصحاب الدخل المتوسط ، كالموظفين وصغار التجار . والطبقة الفقيرة هم الأشخاص الذين يعتمدون على المساعدات الحكومية ، وعلى بعض الوظائف الصغيرة المحدودة الدخل ، وكذلك العبيد .

وهذه الطبقات جميعا لا تقتصر على مدينة أو قرية أو بادية ، بل هي موجودة في جميع هذه البيئات . وجميع هذه الطبقات تعمل على سرد الحكاية وروايتها وحملها ، إلا أنها تتركز أكثر ما تتركز في الطبقات المتوسطة والفقراء والمتطلعين إلى أعلى بحثاً عن تحسين أحوالهم وحياتهم ، ومن هذا التطلع تأتي الأحلام بالغنى والجاء والمآدب الفاخرة ، وبالقوى الموهولة المساعدة وبالقدرات التي تنفس عن فقر الفقير وضعفه ، وذلك في الحكايات التي تكثر فيها العناصر الخرافية ، ولدى غيرهم من ذوي الثراء تحمل الموروثات الشعبية وظيفة تمثل في المحافظة على أنماط الحضارة الموروثة والظاهرة في العادات والمرويات والتقاليد الاجتماعية المرعية ، والحكايات التي تروى بقوالب فكاهية أو مسلية أو معبرة عن انطلاقات الخيال في تحقيق ما في النفوس<sup>(٢)</sup>.

وذكرا للحقيقة ، فإن مجتمع قطر بجميع طبقاته يأنف من العمل في الحرف جميعا ويتركها للعبيد الذين جلبوا من أفريقيا ، وكذلك للأجانب الموجودين عندهم من هنود وإيرانيين وغيرهم . وستابع هنا كل طبقة على حدة . فطبقة الأغنياء ، تحمل الحكايات والحزايي فيما بينها ، فتجتمع النساء مع بعضها بعضا في الزيارات ، وتقوم على تحديثهن امرأة كبيرة في السن ، تسرد عليهن مالد من القصص التي تستهوين وتستهيوي طبقتهم ، فتحدث عن الغنى ، وتحدث عن البطولات وعن الصيد بالصقور . ومن السوالف التي وصلت إلى البحث من هذه الطبقة سالفه « الشاطر حسن » وسالفه « التاجر البخيل » وسالفه « بنت مطلع الشمس » .

أما الحزايي فقد تقوم بها الأم أو الأخت أو الجدة ، إلا أنه في أغلب الأحيان ، تقوم بها المربية التي تكون قد جلبت خصيصا لتربية الأولاد ، أو الخادمة الموجودة في المنزل ، وتكون في العادة من عامة الشعب ، لذا نجد الأولاد يعرفون معظم الحزايي التي تقال في البيئات الفقيرة والمتوسطة ،

(١) صلاح العبد - التوطين وتنمية المجتمع بالوطن العربي - القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٣م - ص ٦٢ .

(٢) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكايات الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

فيحملها هؤلاء الأولاد إلى زملائهم في المدرسة .

ومدارس هذه الطبقة هي المدارس الحكومية العامة ، إذ لا توجد مدارس خاصة للأغنياء ومدارس للعامة ، وهي حقيقة لا بد من ذكرها لاثبات أن الأطفال يلتقون في مكان واحد .

فابن الشيخ وابن التاجر الكبير يجلس على مقعد واحد مع الفقير ومتوسط الحال ، وهو سبب وجيه لتقارب الطبقات جميعاً في موروثتها وروايتها من قبل الجميع ، لذا نجد رصيد ابن الشيخ من الحكاية الشعبية وروايتها ، في جميع مراحل المدرسة لا يقل عن رصيد أبناء الطبقات الأخرى ، وقد أتاه هذا الرصيد من وجود الخادمة أو المربية ، التي هي من أبناء الشعب في البيت . أو أتاه من جدته أو أمه ، أو من لقائه بأبناء الشعب في مدرسته ، وكذا بنت الشيخ أو بنت التاجر ، هي الأخرى ، حملت الحكاية من البيت ومن المدرسة وأخذت ترونها على زميلاتها وبنات عمها حين تلتقي بهن . ومن الحكايات التي وردت للبحث من هذه الطبقة حكاية « رمان جدي » وحكاية « ناصر ومنصور » .

وبعد أن تحدثنا عن نساء هذه الطبقة وأطفالها ، يجدر بنا الحديث عن رجالها ، الذين نادراً ما يجلسون مع بعضهم بعضاً في مجالسهم لقص الحكايات أو لسرد الحزاي على أبنائهم وبناتهم ، وإذا ما جلسوا فيتحدثون بأمور أخرى غير قص الحكايات ، يتحدثون بأمور المال والتجارة وبيع الأراضي وغيرها من أمور مادية صرفة ، نظراً لانشغالهم في مثل هذه الأمور .

ولم يصل إلى البحث غير حكايتين من رجال الطبقة الغنية ، هما : حكاية من ذاق عشب بلده رجع إليه ، وحكاية « رجل وأمه ذهبا لإحضار الماء من أم عبرة » ، وقد ذكرنا من قبل في معرض حديثنا عن المدن القطرية .

أما الطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة ، فيقع على عاتق أبنائها وبناتها رواية الحكاية وحمل التراث ونقله . فالنساء في هاتين الطبقتين يجتمعن مع بعضهن بعضاً لسرد الحكايات في مجلس إحداهن ، وخاصة المتقدمات في السن ، بحيث يلتف الجميع حول الراوية المحدثّة التي تتقن الرواية والحديث ، فتأخذ في القص إلى أن ينفض الجميع بعد أن يكن قد استمتعن بما سمعن وعدن إلى بيوتهن وهن في غاية السعادة ، من الحكايات اللائي سمعنهن من أمثال حكاية « صلالة همجة » وحكاية « ثوب الريش » وكذلك حكاية أم المناخر .

وتأخذ الأم أو الجدة أو الأخت الكبيرة في بيتها في المحازاة بعد العشاء ، إذ يخلو الجو من الضجيج ، ويطيب السهر حول إبريق الشاي أو دلة القهوة ، وتبقى الجلسة سائرة إلى أن ينام الأطفال بعد أن تكون قد عملت فيهم هذه الحزاي عمل السحرفي المسحور ، ومن الحزاي التي تقص في هذا المجال ووصلت إلى البحث حزاية « بردول الهند » وحزاية « أولاد الملك السبعة » وحزاية « زوجة الأب » وحزاية « ابن المعجاة » وحزاية « أم حمار » . ويحمل الأولاد هذه الحزاي والحكايات إلى مجتمعاتهم في المدرسة والفريق (الحي) ويتحدثون بها أمام أترابهم ، فتنتقل من واحد لآخر على أن

تنتشر بين الأولاد جميعا في الفريق أو المدرسة . بيد أن رجال هاتين الطبقتين ، يقومون على رواية الحكايات في مجالسهم التي يجتمعون فيها بعد العصر ، بعد أن ينتهوا من جميع أعمالهم اليومية ، فيجلسون لقص الحكايات والسوالف التي مرت معهم . ومن الحكايات التي وردت للبحث هذه الحكاية « سيل أبطاح وبرق لمع » ، وحكاية « رحنا ثلاثين وجينا ثلاثة » وحكاية « قبر يتحرك » وحكاية « ازكرت بغداد وازكرت البصرة » وحكاية « اليهودي التاجر » ، وحكاية « سعيد الجرو » .

أما فئة العبيد أو الرقيق المجلوين من أفريقيا أو من نسلهم المولود في قطر ، سواء أكانوا ذكورا أم إناثاً فهم يفضلون الغناء والرقص والموسيقى عن القص ، لأن هذا اللون يأنف منه المجتمع القطري تماماً كما أنف من الحرف والخدمة التي أنيطت هي الأخرى بهذه الفئة وفئة العمال الأجانب - كما سبق أن ذكرنا - عدا رقصة الرزيف فإن جميع الطبقات والفئات تشترك فيها لأنها رقصة الحرب التي لا يأنف منها أحد .

ويضعف عند العبيد القص نتيجة لهذا الأمر ولا يتعدى بعض المسموعات من الحكايات والحزايي التي تسمعها هذه الفئة من أسيادها ، أو من بعض الحكايات التي حدثت مع بعض أفرادها . ومنها هذه الحكاية « حكاية الساحرة »<sup>(١)</sup> التي رواها حارب بن راشد الحارب . وهو من فئة العبيد التي تنتمي إلى طبقة الفقراء .

يقول حارب : صلوا على النبي ، بينما كان الفصل شتاء قارساً والمطر ينزل والسماء ترعد وتبرق ، كنا نسير في طريق بالدوحة متجهين إلى بيوتنا في فريق المرقاب ، وكنا وقتها ثلاثة ، أنا ومجلي وواحد ثالث غاب عن ذهني ، بقينا نسير الين<sup>(٢)</sup> وصلنا إلى منتصف الطريق ، وكان في ذاك المكان سمادة<sup>(٣)</sup> وبجانبتها مقبرة ، وكنت متقدما عن صاحبي قليلا ، وفجأة شعرت بشعر رأسي يقف ، وتصلبت في مكاني لا أبرحه ولا أستطيع السير خطوة واحدة ، وأخذت أرتجف ثم لحق بي مجلي ، وكان يحمل مسدسا في يده ، على حين أنا لم أكن أحمل معي شيئا سوى عصا أتكىء عليها . فقال لي : مابك يا حارب ؟ إمش مالك توقفت عن السير ؟ فقلت : « والله ما أدري ، شاعر نفسي تعبان ، والتفت أنا ومجلي فجأة إلى السمادة ، فوجدنا امرأة تجلس عليها ، ورأسها منبوشا ، فأنعمنا النظر فيها فعرفناها وكانت جالسة تعمل سحرا ، فقال لها مجلي : ماذا تفعلين يا حرمة هني ( هنا ) في هذا الوقت ؟ تراني لو شفتك ثاني لأذبحك بهذا المسدس ، وفجأة وضعت سترتها على رأسها وأقبلت نحو مجلي تترجاه بالآ يفضحها ، ثم ذهبت لحالها في الطريق وانصرفت وأكملنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى بيوتنا في ظلمة الليل الحالكة ، فالدوحة في ذاك الوقت كانت مظلمة وبيوتها قليلة وخرائبها كثيرة ، وجلسنا مع أهلنا نتحدث

(١) حارب بن راشد الحارب - الدوحة - موظف - ٦٠ سنة .

(٢) الين : إلى أين .

(٣) سمادة : دمتة .

بما جرى ، وتناول العشاء من النياما<sup>(١)</sup> والعيش<sup>(٢)</sup> ، والتيندة<sup>(٣)</sup> ونشرب القهوة .  
إنّ هذه القصة تدلّل بما لا يدعوا إلى الشك ، أنّ الحقائق تنجلي على حقيقتها إذا لم يُغْلَفْ قلب  
صاحبها الخوف ، أما إذا سيطر الخوف على الفرد ، قلب هذه الحقائق إلى جان ومردة وعفاريت وغيلان  
كما يظهر في كثير من القصص التي على شاكلة هذه القصة .  
ودونكم ما دار بين الباحث وبين المحدث من حديث :

- ما اسمك ؟

حارب بن راشد الحارب .

- أين تسكن ؟

في فريق المرقاب .

- متى حدثت هذه السالفة ؟

سنة ١٩٣٥ م .

- من حدثك بها ؟

لا أحد ، هي حدثت معي .

- ما اسم الشخص الذي أثرفيك ؟

محمد العامري .

- أين يسكن ؟

في المرقاب .

- كم عمره ؟

سبعون سنة ، وقد توفي قبل عدة سنوات .

- هل كان ينسى كثيرا ؟

لا .

- هل كان حديثه مشوقا ؟

نعم ، الأمر الذي جعلني أحفظ عنه بعض الحكايات ، نظرا لأسلوبه المشوق .

- أذكر لي بعض الحكايات التي تحفظها ؟

لا أتذكر الآن ، ولكنها ليست كثيرة .

- ممن أخذتها ؟

أخذتها من هذا الراوي ، ومن غيره .

---

(١) النياما : اللحم ، وهي كلمة يستعملها العبيد فيما بينهم وأصلها من افريقيا .

(٢) العيش : الأرز .

(٣) التيندة : التمر .

- هل تجلس في المجالس وتتابع الحكايات ؟
- ليس كثيرا ، لأن وراثي عملا في الأعراس .
- هل تؤمن بوجود السحر ؟
- نعم موجود ، وخاصة في عُمان .
- ما رأيك بوجود الجن ؟
- موجود ، فقد ذكره القرآن ، وتحدث عنه الناس .
- هل رأيته أنت ؟
- لا ولكني سمعت أن بعض الناس قد رأوه .
- متى رأوه ؟
- من زمان قبل دخول الكهرباء .
- هل رأوه بعد ظهور الكهرباء ؟
- ماسمعت بهذا .
- لماذا رأوه قبل ظهور الكهرباء ولم يروه بعد ذلك ؟
- لأدري ، ولكن يجوز أن الجن يظهر في الظلام ولا يظهر في النور أو أنهم يتصورون هذا ، أما أنا فلم أراه قط .
- ما تعليقك لسماع أصوات الجن في الليل ؟
- ربما أن بعض الناس يصدر هذه الأصوات ، أو أن قبيلة تسكن خلف جبل أوتل ، ومع سكون الليل يصل الصوت ، وحين يسمعه المسافر أو الشخص يظن أنه صوت جان .
- وهكذا بعد أن تعرضنا لرواية الحكاية في المجتمع القطري لمدنه وقراه وباديته وطبقاته ، لم يبق أمامنا غير الوافدين الذين وفدوا إلى قطر للعمل فيها ، من البلاد العربية في شتى المجالات ، كما يمم شطر البلاد عدد غير قليل من الإيرانيين والباكستانيين والهنود بحكم قربهم من المنطقة طلبا للرزق ، لذا نجد قطر تزخر بأناس من جميع الأجناس والملل ، يتكلمون بلغات ولهجات متعددة ، ويحملون عادات وتقاليد متباينة ، ولكل فئة مجتمع خاص بها ، علاوة على المجتمع الكبير الذي يلفهم وهو المجتمع القطري ، بالرغم من هذا نجد كل مجموعة تقص الحكايات التي تعرفها في بلادها وبلغتها وقد تفلت هذه الحكايات من فلكهم الصغير إلى الفلك الكبير ، فتؤثر في بعض الحكايات ببعض الألفاظ المستعملة ككلمة « هست وأصلها أست بمعنى يكون فأصاها تصحيف وتحريف فقلبت هست واستعملت بمعنى كثير » وهي كلمة فارسية تستعمل في كلامهم العادي ، كما تستعمل في حكاياتهم .
- كما في حكاية « فسيجرة » وحكاية « ثوب الريش » .
- إن مثل هذا الأثر من الكلمات أو العبارات شيء لا يذكر إذا ما قيس بالأثر القطري عليهم ، تماما كما

حدث لي حين أحدث أبنائي في المساء بالحزاي الخليجية بصفة عامة والحزاي القطرية بصفة خاصة ، فانهم يتحلقون من حولي ويطلبون المزيد منها ، ومن هذه الحكايات التي يلهج بها لسانهم كل ليلة يطلبون مني قصتها ، حكاية « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها »<sup>(١)</sup> وتحكي الحكاية فتقول : « مايانا وياكم ، إلا خير لقانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم ، من له نبي يصلي عليه . فيقول الحاضرون : اللهم صل على النبي ، كان في قديم الزمان هالريال ( الرجل ) وزوجته ، وعندهما من العيال سبعة عايشين ومستانسين ، وكان من عادة الأب ( الأب ) أن يذهب مع عياله للقنص في فصل الشتاء ، وكالعادة في يوم ذهب الأبومع عياله للقنص وغابوا حوالي شهرين وبقيت الأم وحدها في البيت تنتظر زوجها وعيالها ، وبينما هي في البيت جاءها في يوم من الأيام طرار سندي<sup>(٢)</sup> ، يبغى أكلا من عندها ، وكانت هذه المرأة قاسية القلب لاتحب الخير لأحد ، فسول لها الشيطان - والشيطان كما تعلمون يا عيالي يطغي ويغر - أن تتخلص منه ، فقامت لتوها وعملت سبعة أقراص من الخبز ودست فيهم السم وأعطتها للطرار ، ذهب الطرار ومعه الخبز ، وبينما هو في الطريق يسير - وقبل أن يأكل منها شيئا - قابله الريال ومعه أبنائه السبعة ، وكانوا وقتها يتضورون جوعا ، فطلبوا منه أكلا ولكرمه بالرغم من حاجته أعطاهم الخبز جميعه ، فأكل الأبناء ولم يأكل الأب حرصا على إشباع عياله ، وبعد فترة من أكلهم تسمم الأولاد وماتوا في الحال ، فحزن الأب وأمسك بالطرار . فقال له : لا أدري عن الخبز شيئا ، أنا أخذته من بيت في المدينة . ورجع الأبوالى بيته حزينا ، فسأله الأم عن العيال ؟ فقال لها : من طوّل الغيبات جاب الغنائم « وخش ( خبا ) الخبر عنها لفترة ثم أخبرها بالسالفة . ويوم عرفت الخبر أغمي عليها . وقام الأبويانعاشها إلى أن أفاقت وحكت له ما صنعت بالطرار ، وأنها سممت الخبز وأعطته له كي تقتله ، فقال الأبولها : سوّد الله وجهك من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » .

ولهذا فخذني ماعملته يداك ، وخذي جزاءك ، قام فطلقها وذهبت الأم تهيم على وجهها بعد أن فقدت عقلها وفقدت أبنائها » .

أما الحكاية الثانية<sup>(٣)</sup> فتقول : « كان في هالبيت الخالي مكونا من عدة غرف بعضها مأهول وبعضها الآخر غير مأهول ، وتقع الغرف غير المأهولة في منطقة من البيت مظلمة ، وذات ليلة بعد عيد الأضحى المبارك بأسبوع وفي منتصفها انطفأت جميع أنوار البيت - وهذا دليل على أن الكهرباء قد انقطعت - ولكن الغريب في الأمر أن أهل البيت سمعوا أصواتا غريبة وأسلاكاً تنقطع وأبواباً تفتح وتغلق ، وفي غرفة منعزلة كانت الجدة تسكن وحدها ، واستيقظت هي الأخرى على الأصوات الغريبة التي تحدث في البيت ولكنها رأت شيئا ألجم لسانها عن الكلام وجعلها كالمجنونة . لقد رأت وجهها كالكتلة

(١) فاطمة بنت حمود السليطي - الدوحة - فريق السلطة الجديد - ٩٠ سنة .

(٢) طرار سندي : الطرار ، كلمة فارسية بمعنى شحاذ . والسندي ، نسبة إلى بلاد السن .

(٣) سنان عبد الرحمن سنان المسلماني - الدوحة - ٢٥ سنة .

الحمراء تتحرك أمامها ، وفي الصباح استيقظ أهل البيت وذهبوا إلى الجدة للاطمئنان عليها فأروها تشير بيدها ولكنها لا تتكلم ، وكانت تشير بإشارات غريبة لم يفهموها . وفي الليلة الثانية حدث نفس الشيء من انطفاء الكهرباء . . إلخ .

وفي الصباح ، أراد ابن الخال التأكد من هذه الأحداث الغريبة التي تحدث في البيت فأتى بلمبات النور وعلقها حول البيت من الداخل ( أي فوق الغرف ) . وفي الليلة التالية حدث نفس ما توقعوه من انقطاع الكهرباء وتفتح الأبواب وغيرها . وفي اليوم الثالث بعد أن عاش أهل البيت في فزع دائم وخوف ، حتى أن الأطفال أخذوا ينامون من المغرب خوفا ورعبا ، ذهب ابن الخال إلى عالم دين أفغاني وأخبره بما جرى ، فأعطاه العالم آية قرآنية . وقال له : ارمها مكان الصوت الذي تسمعه ، وأتت الليلة الرابعة وانتظر ابن الخال الين ( إلى ) الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ولكن شيئا لم يحدث ، وبعد الساعة الثانية تقريبا ، والأهل نيام حدث ما حدث في الأيام السابقة ، وفي الفجر ذهب الرجال إلى الصلاة وبقيت النساء في البيت ، وأخذت إحداهن تصنع الشاي والقهوة والفقطور ، وبعد لحظة شاهدت وجهها يطل من وراء صندوق كبير ، ففزعت وصرخت ثم أخذت عودا من الخشب ووضعت في النار ثم رمته وراء الصندوق لتثير المكان ، وإذا بشيء يقفز من وراء الصندوق بعد أن أحس بحرارة النار ، وهنا كانت المفاجأة ، كان هذه الشيء هو طفل صغير أسود اللون صبغ وجهه بصبغ أحمر ، وأحدث في وجهه خطوطا سوداء ، تثير الرعب ، وقد ارتدى ثوبا واسعا أحمر اللون ، ولف نفسه به .

فقام الرجال الذين توافدوا على البيت نتيجة الصراخ بامسكه ، ولما أزالوا الثوب والألوان عنه ظهر لهم وجهها مألوف ، هو وجه ابن الجيران ، فأرسلوه إلى أهله وحذروهم من تكرار مثل هذه الأعمال . ومن تفسير العالم الأفغاني ، أن هذا الطفل متصل بالجنان ، وبه شخصية غير إنسية ، وثبت بالتحري أن جده كان ساحرا كبيرا ، وهذا الطفل ينتمي إلى هذا الجد ، بل ينتمي إلى الجن . ولقد ثبت من كلام الخال أنه كان يرى هذا الطفل في منتصف الليل يبحث عن الخرائب والقاذورات التي في الأزقة .

كل هذا يبين لنا حركة نقل الحزاي والحكايات الشعبية بين فئات المجتمع وتأثر الوافدين بها وأثرهم فيها ، وقد انفجرت شرايين هذا التأثير ونفذت في كل مناحي الحياة دون سدود أو حدود .



## الفصل الثاني

### مناسبات القص في المجتمع القطري

- مجالس الرجال :
- مجالس النساء :
- مجالس الأسرة :



## « مناسبات القص في المجتمع القطري »

ومن الحديث عن مجتمع القص في قطر نتقل إلى الحديث عن مناسباته التي حصرها الباحث في الآتي:

### ١ - مجالس الرجال :

يشكل الماضي بَوَصِيهِ وتعبه تاريخاً عملياً للإنسان القطري ، حين كان يزاول عملية الغوص على اللؤلؤ ، وصيد الأسماك وغيرها .

ف نجد الرجال من فترة لأخرى ، يجلسون في مجلس أحدهم ، أو في مجلس فرقة شعبية ، من الفرق الموجودة حالياً في قطر ، ليحدثوا بعضهم بعضاً بحكايات وسوالف الماضي الذي كان قائماً عندهم قبل اكتشاف البترول حيث كان يمثل واقعهم الذي يحبونه في تلك الفترة ، وواقع نفر قليل مازالوا يمارسونه إلى اليوم .

وقد اطلع الباحث على عدد وفير من حكايات تَذَكُّر الماضي في مجلس عبد الله بن سعد المسند ، في الخور ، حين التقى به في غير مرة واحدة ، ليجد مجلسه مليئاً بالرجال وهم يتحدثون فيه عن ذكرياتهم التي مرت معهم في البحر وغيرها ، ويعلمون لبداية الغوص وبداية تكوين اللؤلؤ داخل المحار ، وما إلى ذلك من أمور .

وقبل أن نعرض لما يدور في هذه المجالس ، نود أن نصف المجلس . فمن ضروريات البيت في قطر المجلس ، وإذا ما عزم الرجل على البناء . فأول ما يفكر فيه هو المجلس ، باعتباره الواجهة التي يطل منها على الآخرين .

ويختلف المجلس من شخص لآخر حسب يسره أو عسره ، فقد يكون مجلساً ضخماً ، وقد يكون بسيطاً عادياً . وبالرغم من هذا الاختلاف ، فإنها ( أي المجالس ) تتفق في الشكل العام وتفرش أرض المجلس بالزل<sup>(١)</sup> وتمتلىء بالمساند<sup>(٢)</sup> ليتكىء عليها الضيفان<sup>(٣)</sup> .

أما الوقت المتفق عليه للجلوس في هذه المجالس ، فهو وقت العصر ، إلا في حالة مجيء ضيف أو عمل وليمة أو زيارة ، فيختلف الحال ويجلسون في أي وقت يشاءون .

ويلاحظ المتتبع لهذه المجالس أنها تغص بالرواد<sup>(٤)</sup> الذين يأتون إليها ، ويذهبون منها ، تصحبهم روح الكرم وسعة الصدر .

وعن الحديث الذي يدور في هذه المجالس ، والأمور التي تستهويهم فيها فهي الحكايات المسلية وخصوصاً ما يتعلق منها بالماضي كحكايات الجان في البحر والبر وحكايات الغوص وحكايات الغول ، والقصائد الشعرية التي تنشأ للتسلية أو لمعالجة المشكلات الاجتماعية .

(٣) الضيفان : الضيوف .

(٤) الرواد : النزلاء أو الضيوف .

(١) الزل : السجاد .

(٢) المساند : المخدات .

وقد حدثني خليفة السيد<sup>(١)</sup> بأن المجالس قد اقتصرت الآن على سرد بعض الحكايات الخفيفة والقصائد الشعرية ، نظرا لانشغال الناس في حياتهم العامة ، بأنواع التجارة والعمل الحر والأعمال الحكومية وما يلازمها من مشاكل وأمور ، لهذا ، فقد رأيت من المفيد حقا أن أورد جانبا مما سمعته يروى في بعض هذه المجالس .

وقبل أن أستعرض عددا من هذه الحكايات يطيب لي أن أذكر حكاية عللت لتكوين اللؤلؤ داخل المحار قبل أن يتطرق إليها العلم ويكشف عنها .

فيقال : « عندما ترغب محارة أم أن تحمل لؤلؤة ، تقدم نفسها لمداعبات المياة العذبة الفاسدة الداعرة ، وتمتص نقطة صافية ، وهذه النقطة يرعاها الحب ويغذيها حتى تصبح مع الوقت الحلية الكاملة التي تنتزعها بقساوة من بطن أمها المثخنة بالجراح »<sup>(٢)</sup>.

وحكاية أخرى نسجها أبناء المنطقة عن أول إنسان اكتشف الغوص ويدعى « غيلان »<sup>(٣)</sup> وهو رجل استطاع بصفاته الخارقة بناء سفن له<sup>(٤)</sup> وإعداد جماعة تعمل معه ولحسابه في إستخراج اللؤلؤ دون منافس أو منازع ، وقد بقي غيلان هذا في رغد وسعة إلى أن ظهرت له في عصره امرأة تدعى « مي » امتازت كذلك باللباقة والشجاعة واتخذت لها سفنا ورجالا أقوى وأذكى وأشد بأسا من رجال غيلان ، يعملون لحسابها . وكانت هذه الجماعة أعرف للمناطق الخصبة والمليئة باللؤلؤ ، فأخذوا يزاحمون غيلان في صيد اللؤلؤ ويسبقونه إلى مظانه الغنية في البحر ، الأمر الذي أذهل غيلان وأفقده الصواب . وتستطرد الحكاية فتقول : « لقد رأى غيلان الجرادة وتأمل جناحها الداخلي فخطر له فكرة عمل شراع للمركب يشبهه . ومنذ ذلك الوقت أصبحت سفنه تسير بأشركة . وهناك تذهب « مي » الى « غيلان » وتقول له : القلص<sup>(٥)</sup> « يا غيلان » ؟ » فيقول لها : القلص في رؤوس الأدوام أي الفرائس<sup>(٦)</sup> عند ذاك قامت مي وعملت مثل غيلان . وأصبحت سفنها كذلك تسير بأشركة .

ومن الحكايات التي سمعها الباحث في مجلس عبد الله بن سعد ، حكاية « أبي درياه » الذي يعترض طريق البحارة في كل وقت في أثناء وجودهم في البحر .

وأبو درياه ، جني يظهر للبحارة ليلاً وهم في سفنهم على هيئة رجل كبير له قرون وشعر أبيض . أو يكون ضخماً الجثة في جسمه شوك وشكله مرعب ، أو على شكل رجل أبيض اللون وفيه شوك طويل ،

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) جان جاك بيربي - الخليج العربي ( تعريب نجده هاجر ، سعيد الغز ) - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٥٩م - ص ١٦١ .

(٣) رواها كل من : سعيد عبد الوهاب - الخور - ٨٠ سنة .

عبد الله بن سعد - الخور - ٦٠ سنة . سلمان بن حمد - الذخيرة - ٨٠ سنة .

(٤) كانت هذه السفن بدون أشركة .

(٥) القلص : القارب الصغير .

(٦) الادوام والفرائس : الصواري الخشبية .

كما تردّد في الروايات التي بين أيدينا ، حيث تحكي الرواية الأولى <sup>(١)</sup> فتقول : « ذات يوم ، سلّم الغواصون على أهلهم ، استعداداً لرحلة الغوص ، وركبوا اللنش ، لمدة خمسة عشر يوماً ، يسرون ليل نهار إلى أن توقفوا عن السير ، وأخذوا يصطادون السمك في فرح وغبطة ، وعندما خيم الليل بأسداله ، رقد الجميع ( ناموا ) وفي الصباح أفاقوا قبل شروق الشمس كعادتهم للصلاة ، وعدّوا أنفسهم فوجدوا أحدهم غير موجود ، فبحثوا عنه فلم يجدوه ، واعتقدوا أنه قد غرق في البحر أو أكله الجرجور دون أن يشعروا به ، وفي الليلة الثانية قام أحد الغواصين ليشرب القهوة ، فشاهد أبا درياه ، وكان على شكل رجل وله قرون وشعر أبيض ، فذهب لجماعته وأيقظهم وقال لهم وهو يتنفض : أبو درياه ، أبو درياه ، ثم تمالك نفسه وقال : هات الإشارة والجذوم <sup>(٢)</sup> . ولما سمع أبو درياه هذه العبارة هرب واختفى ، فعرفوا أن صاحبهم الغواص الذي اختفى ليلة أمس قد أكله أبو درياه ، مما جعلهم يأخذون حذرهم ويراقبون أبا درياه خوفاً من فجيرة أخرى تحلّ بهم » .

أما الرواية الثانية <sup>(٣)</sup> فتقول : « بينما كنا جلوساً في مجلس صاحب المركب ، اتفق الجميع على الذهاب إلى الغوص ، فأخبرت أمي وإخواني بهذا الأمر . وفي الساعة الخامسة صباحاً نهضنا من نومنا ، فصلينا صلاة الصبح ثم جهزنا المفارش ولوازم الرحلة ، وركبنا المركب وذهبنا شمالاً . وفي منتصف الليل والجميع نيام ، سمعت صوتاً غريباً ، فنهضت لأرى أمامي رجلاً لونه أبيض وفيه شوك طويل ، فتذكرت توأماً أخبرني به والدي حين قال : انتبه يا بني ، هناك ريال ( رجل ) متوحش يدعى أبو درياه ، ولا يخاف إلا من الجذوم والسكين أو أي شيء حديد ، ولما تذكرت هذا قمت في الحال وأنا أرتجف فحملت الجذوم ، ولما رآه هرب ونزل في البحر ، وحين رأيته يهرب أيقظت أبي وأخبرته بالساقفة . فقال لي : نم ولا تخف . فنمت ولكن بحذر شديد ، وبعد قليل من الوقت سمعت صوتاً ينادي : الحقوا برفيقكم ، الحقوا به . فقام الرجال ولم يجدوا أثراً لصاحب هذا الصوت لكنهم لمحوا أبا درياه من بعيد . فقال لهم : لقد كذبت عليكم ، وهرب . وفي الصباح جمعنا ما قدر الله لنا من اللؤلؤ والسمك وذهبنا إلى قريتنا ونحن سعداء » .

وتحكي الرواية الثالثة <sup>(٤)</sup> فتقول : « في يوم من الأيام ، كنا مبحرين إلى بلاد الهند . وفي منتصف الطريق ظهر لنا أبو درياه ، وكان ضخّم الجسم بشكل مرعب ، وفي جسمه شوك ، وأخذ يتحدث باللهجة العامية لأهل قطر ، وكان الجميع يسمع بحكاية أبي درياه ، لكنهم الآن أمام حقيقة وليست حكاية وكنت أنا النوخدة في هذه الرحلة ، فقامت بلفّ البوم <sup>(٥)</sup> لليسار ، فظهر أمامنا ، فلففته لليمين

(١) راشد بن سعد - الخور - ٥٨ سنة .

(٢) الإشارة والمجدوم - : المنشار والقلوم .

(٣) سعيد بن سرور - الخور - ٧٥ سنة .

(٤) راشد إبراهيم المسند - الخور - ٥٥ سنة .

(٥) البوم : نوع من أنواع المراكب البحرية ، يستعمل في منطقة الخليج .

فظهر أمامنا أيضاً . وفي كل مرة يظهر أمامنا ، وبعد محاولات عديدة تذكرت الإشارة والجذوم ، فقلت : هات الإشارة والجذوم ، عندها هرب أبو درياه . وفي منتصف الليل والركاب نيام جاءهم أبو درياه ، وسحب احدهم والتهمه في لحظة ، ومع الصوت صحا الركاب ، وأحضروا الجذوم وأمسكوا به وقطعوه إرباً إرباً ، وطبخوه وهم فرحون لأنهم أمسكوا به ، ولكنهم في غاية الحزن على صديقهم الذي التهمه ، وعندما طبخوه ، قالوا : سنرميه في البحر ، ورموه فعلاً ولكنه عندما لامس الماء عادت إليه الحياة مرة أخرى وذهب في أعماق البحر ولم يعد إليهم قط .

وهكذا نرى الروايات الثلاث تتفق تقريباً في وصف هذا الجان ، وإن كان هناك بعض الاختلافات التي يملئها تعدد الرواية .

فمثلاً تتفق الروايات جميعها على أن أبا درياه رجل لون شعره أبيض ، وبعضها يقول : له شعر . وبعضها الآخر يقول : له شوك . ولم تختلف الروايات في وسيلة القضاء عليه بواسطة الإشارة والجذوم . فهو يخشى كل شيء مصنوع من الحديد .

بيد أن الرواية الأخيرة أضافت إليه صفة أخرى ، وهو أنه يحيا حين يلامس الماء . ومن الحكايات التي سمعها الباحث أيضاً حكاية « الدرفيل » الذي أنقذ البحار الغريق . وكذلك حكاية « الجرجور » الذي التهم بحاراً ، وحكاية « عاصفة البحر » وحكاية « عناد الغطاس »<sup>(١)</sup> ، الذي فضل أن يموت دون أن يبوح بسرّه ، بأنه يحب ابنة الخليفة ، فاستل خنجراً طويلاً ، وأغمده في قلبه متمتماً « وداعاً يا أميرتي المعبودة » .

لقد كانت بشرة الغطاس الشجاع عناداً أشد سواداً من اللؤلؤة السوداء ، فهل يمكن أن يكون حبه للأميرة ، ابنة الخليفة سوى دنس مرفوض ؟ .

واليوم من حين لآخر تأخذ الغطاسين النشوة في قاع البحر ويواجهون المخاطر ، ويعتقد كل منهم أنه سيجد هناك اللؤلؤة السوداء ، مما يتيح له أن يفوز بقلب الأميرة الساحرة محبوبته . فيغطس ويغطس إلى ما لا نهاية . فقد يغطس مرة ولا يعود إلى ما فوق الماء مأسوفاً . على شبابه . واستعار أهل قطر هذا الاسم ليطلقوه على إحدى سفنهم الكبيرة التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى الغطاس عناد .

ويختم الباحث ما سمعه في مجلس عبد الله بن سعد بحكاية « البحار » الذي أخرج من بطن الجرجور ، بعد أن اصطاده البحارة ليأكلوه ، ولما شقوا بطنه وجدوا صديقهم البحار في داخل بطنه ، وقد سقط جلده عن جسده وهو في حالة غيبوبة ، ثم عالجوه وشفي ، ولكنه بقي مجنوناً ، وفي كل مرة يريد الذهاب إلى البحر لينتقم منه ، فهو الذي شوّهه ، وكان الناس يمسكوه خوفاً من أن يموت في البحر<sup>(٢)</sup> .

(١) عبد الله بن سعود - الخور - ٦٠ سنة .

(٢) راشد إبراهيم - الخور - ٥٥ سنة .

وفي مجلس راشد ابراهيم المسند ، سمع الباحث أحد الجالسين في مجلسه يحكي حكاية عن الجن يقول فيها :

« أنه من سبعين سنة خلت حدث أن دُعي ناس إلى طعام العشاء في شمال مدينة الخور ، وبعد انتهائهم من الطعام وقولهم العبارة الشهيرة : « أكرمك الله أو أغناك الله » . ركب رجل يدعى ( ابن بدّاح ) ناقته ومعه فخد خروف في خري<sup>(١)</sup> الناقة ، واتجه ناحية الخور . وفي الطريق مرّ بمكان يدعى « سمرة خطّاف » واذ به يفاجأ بصوت يتحدث ، ثم ما لبث أن سمع صوت حجارة تتقاذف عليه من كل جهة ، وأصواتاً تصرخ وتقول : « طاح<sup>(٢)</sup> طاح ابن بدّاح » . وما ان سمع هذه الأصوات حتى أرنخى لناقته العنان ، فاندفعت تركض بأقصى سرعتها ، وبالرغم من ذلك كانت الأصوات تقترب منه أكثر فأكثر ، مما جعله يرتعش كثيراً من شدة الخوف ، ثم أمسك بفخد خروف وألقى به ناحية الأصوات ، فسكتت الأصوات ، واستمر ابن بدّاح في السير الحثيث إلى أن وصل مدينة الخور ، وحكى لرّبعه<sup>(٣)</sup> وللناس ما كان معه في الليلة السابقة ، من ملاحقة الجن له . وتناقل الناس هذه الحكاية ، حتى أصبح يعرفها القاضي والدّاني ، ورحنا عنهم وينا<sup>(٤)</sup> ، حتى شيء ما عطونا<sup>(٥)</sup> . »

ولو أنعمنا النظر قليلاً في هذه الحكاية ، لانجلي ما بنا من شك ، في أن عامل الخوف قد لازم هذا الرجل بحيث أنه تصور الدنيا كلها بنا<sup>(٦)</sup> يلاحقه وديبب النمل رعوداً تفرع مسامعه ، ورب مازح<sup>(٧)</sup> أو سارق عمل هذا ليأخذ ما عند الرجل من مال ، عن طريق إماتة الشجاعة فيه . وقد حصل هذا ، حين ألقى بفخد الخروف الذي معه ليسكت به هذه الأصوات . وفعلاً أسكتها وألهاها بهذه الغنيمة ، وعاد سالماً .

وبعد أن فرغ هذا الرجل من هذه الحكاية ، أورد آخر حكاية عن الغول . فللغول عندهم وجود شعبي ، اذ يظهر لهم بأشكال عدة ، فمرة يظهر على شكل حمار ، وأخرى على شكل بقرة ، وثالثة على شكل ماعز ، ورابعة على هيئة رجل مكفّن أو أي شكل آخر من الأشكال المتغيرة .

وتحكي هذه الحكاية<sup>(٨)</sup> فتقول : « في ليلة من الليالي ، خرج رجل من بيته ليوصل أمانة لرجل آخر ، وبعد أن سهر عنده ، رجع في الليل عائداً إلى بيته . »

- 
- |                     |  |
|---------------------|--|
| (١) خري : خُرْج .   | (٥) عطونا : اعطونا .                                     |
| (٢) طاح : وقع .     | (٦) بنا : جنا .  |
| (٣) ربعه : جماعته . | (٧) مازح : صاحب ظل خفيف .                                |
| (٤) يينا : أتينا .  | (٨) موسى عبد الرحمن موسى زينل - اللوحة - موظف - ٣٢ سنة . |

وفي الطريق رأى حماراً فضربه الرجل بالسَّنجي<sup>(١)</sup> التي كانت بيده فضرط<sup>(٢)</sup> الحمار ورفس<sup>(٣)</sup> .  
فعرف الرجل أن هذا الحمار غولاً . وذلك عن طريق معرفته لأماثر الغول ، وهي الرفس والضراط ، فتركه  
الرجل وسار في طريقه ، غير أن الغول اعترضه مرة أخرى بشكل آخر . وكان في هذه المرة على هيئة  
ماعز فعرفه الرجل وتجنّب طريقه وذهب في طريق آخر .  
الآن الغول اعترضه مرة ثانية بشكل رجل مكفّن ، فتركه لتوّه وسار في طريق آخر .  
وهكذا بقي الغول يتشكل بعدّة أشكال والرجل لا يعيره انتباهاً إلى أن وصل إلى بيته سالماً لعدم  
خوفه .

ونحن نعرف أن هناك ثلاثة أشياء مستحيلة لا يمكن أن تتحقق أو توجد وهي : « الغول والعنقاء  
والخلّ الوفي » . ولكن الخيال الشعبي يصّر على ابتعادها .  
فترى الغول يتشكل في هذه الحكاية الشعبية القطرية بعدّة أشكال ، وكأنها حقيقة لا مجال للشك  
فيها .

وسمع الباحث أيضاً في مجلس « خليفة السيد »<sup>(٤)</sup> حكاية « النعامة المسروقة » حيث قال : « كان  
في رّيال كبير ، عود ، لما دنا من الموت ، نادى على ابنه ليوصيه ، فقال له : يابوك ، تراني باوصيك  
وصاية خلّها ذخرا عندك وهي : « لا تعطِ سرك لأمراتك ولا تخاوي صبي ديوان ( الشرطي ) ولا تأمن  
للسلطان . وبعد أن مات الوالد ، تزوج الولد بزوجة ، ثم أراد أن يتحقق من قول أبيه ، أهو صحيح أم  
لا ؟ فذهب إلى قصر الشيخ وياق ( سرق ) نعامة وخشّها ( خبأها ) عن الناس حتى لا يرونها في بيته ،  
ثم قام فذبح خروفاً كبيراً ، وأحضر لحمه حق زوجته ، وقال لها : يافلانة ، تراني بُقّت اليوم نعامة شيوخ  
وذبحتها ، وهذا لحمها ، خذيه واطبخيه لنا طبخة زينة ، حق الغداء ، تراني عازم ناس عليه ، ولا  
تعلمين أحداً بالسّالفة ، فقالت : انزين ، ما عليك يا بوفلان ، حشى ما أقول حق أحد ، وطبخت  
الغداء وأخذت شوية ( قليلاً ) من المرق واللحم ودزّته ( أرسلته ) حق جارتها وعلمتها بالسّالفة ، بأن  
زوجها سرق نعامة شيوخ وذبحها ، وهذا اللحم هو لحم النعامة . وقالت لجارتها : لا تقولين لأحد ،  
فقالت : حشى ما أخبر أحداً ، ثم نقلت الجارة الخبر لجارتها الثانية والثالثة والرابعة الخ . إلى أن شاع  
الخبر بين الجيران .

أما عن الوصية الثانية وهي عدم مصاحبة الشرطي أو الذي يشتغل عند الشيخ . فقد قام الرجل ودعا  
رفيجه ( رفيقه ) صبيّ الديوان للغداء في هذا اليوم ، وكانا عزّ الأصحاب ، وبعد أن تغدّيا ، قال الرجل

(١) السّنجي : الحربة .

(٢) فضرط : اخرج صوتاً من مؤخرته .

(٣) رفس : ركل .

(٤) خليفة السيد - الدوحة - ٤٠ سنة .

لرفيقه ، ترى هذا اللحم اللّي أكلته هو لحم نعامة الشيخ بقتها وذبحتها ، فأرجوك ألا تعلم الشيخ بالسّالفة ، ثم ذهب الصبي إلى عمله . وبعد انتشار خبر السرقة ، أخذ الشيخ يبحث مع جماعته والشرطة عن النعامة ، لكن الشرطي قال : ليش تبحثون عنها ، فقد باقها فلان وذبحها وأنا تغذيت منها اليوم . فقال الشيخ : طرشوا ( ارسلوا ) حق فلان لتحقق من كلام الشرطي ، فذهبت الشرطة إلى بيت الرجل وأنشدت زوجته عن الخبر ( استفسرت ) فقالت لهم : هذا كلام صحيح ، وأنا مستعدة أن أشهد عليه وفي هذه الأثناء سمعها الرجل حينما كان مختبئاً في الدار ، ثم خرجت الشرطة من عندها وأنشدوا الجيران ، فشهدوا على الرجل بأنه باق النعامة وذبحها .

وفي اليوم التالي ، جاء رجال الشرطة إلى البيت وأمسكوه وسجنوه ، وجاء القاضي إلى السجن وقال للرجل : ليش تبوق النعامة وما هي بلك ؟ لازم نقطع يدك ونغرمك ، وحاول الرجل أن ينفي عن نفسه التهمة ولكن بلا فائدة ، فكل الدلائل والقرائن تشير إليه بأنه السارق ولما شاف ما في فائدة ، قال لهم : بسيطة طرشوا معي شرطي لأحضر النعامة من المخبأ ( المخبأ ) . ولما أحضرها ، قال لهم : أنا بقتها علشان اختبر كلام أبوي ، الله يرحمه . والحين سمعوا يا الرّبع : أما أنت يا صبي الديوان ما عدت أعرفك من هذا اليوم ، ولا تعرفني . وأنت يا زوجتي فأنت محرمة عليّ من اليوم ، وأنت طالق . ولقد صدق والدي في كل ما قاله ، فالمرأة لا تحمل سراً ، أما الشرطي والسلطان فلا يؤتمنا .

إن هذه السالفة <sup>(١)</sup> هي ثمرة لوصية أوصاها الوالد لولده ، وقد تحقق صدق الوالد وخبرته للحياة ، فالمرأة لا تحمل سراً وكذلك عامل السلطان أو خادمه أو شرطيه لا يؤمن جانبه وانه سريع الافشاء ، مثله في ذلك مثل المرأة فكلاهما تابع ، والتابع لا بد أن يدور في فلك متبوعه ، ويخبره عن كل شيء وكذلك السلطان فانه يتنكر لك لأقل سبب .

وحرّي بنا أن نشير إلى أنّ هذه المجالس معدة لاستقبال الرجال فقط ، في كل الحالات ، في حالة الاستقبال والضيافة والأعياد وغيرها .

ففي الولايم يجتمع المدعوون في هذا المجلس ويتناولون أكلهم فيه ، ثم يودعون مضيفهم بعبارة « أكرمك الله أو أغناك الله أو أنعم الله عليك » .

كما ويجتمع الرجال فيه في وقت الغبقة أو الغبوق ، وهي وجبة رابعة تضاف إلى الوجبات الثلاث المعروفة ، وسميت بالغبوق لأنها تتناول بعد العشاء ، أي في المساء أو الليل . وهي عادة موجودة على مدار السنة ، إلا أنها أكثر ما تظهر جليّة في شهر رمضان ، إذ يجتمع عدد من الرجال الأصدقاء أو الأقارب . فيقال لأحدهم : « الغبقة عندك الليلة يا فلان » وبعد أن يتناولوا الغبقة عند هذا الشخص ،

---

(١) لقد قرأت هذه السالفة بشكل أوسع من كتاب من أساطيرنا الشعبية في قلب جزيرة العرب لعبد الكريم الجهيمان ، الجزء الأول وهي تحمل وصايا ثلاثة : إن المرأة لا تحمل سراً وكذلك شرطي السلطان لا يحمل سراً ، كما أن السلطان نفسه لا يؤمن من جانبه .

يختارون شخصاً آخر منهم تكون الغبة عنده في الليلة التالية ، وهكذا تبقى الغبة دورية يتسامرون في خلالها ويقصون الحكايات والحزايي المسلية ويتسلون بمختلف الألعاب كالذامة والورق الكوتشينة وغيرها .

ومن الحكايات التي سمعها الباحث في مجلس « مسند بن سعد المسند »<sup>(١)</sup> في الخور ، حكاية « الفرس المتكلمة » وحكاية « فسيجرة » .

ومن عاداتهم في أيام العيد أن يجتمع القوم عند كبيرهم أو رئيسهم بعد أن يحضر كل واحد منهم طعاماً من بيته ، حيث يشترك الجميع في تناوله .

وان دلت هذه العادة على شيء فإنما تدل على مدى التعاون والترابط فيما بينهم ، كما تدل على مدى ما يتمتع به رئيسهم أو كبيرهم من مكانة واحترام عندهم . « وهي عادة ترجع في جذورها إلى النظام القبلي ( الأبوي ) الذي كان يسود المجتمع العربي في الأزمنة السالفة »<sup>(٢)</sup> .

وفي أثناء هذه الاجتماعات في الأعياد ، سواء أكانت في مجالسهم مع أهلهم أم في مجلس كبيرهم ، أم في مجالس أصدقائهم في أثناء السلام عليهم ، تحدث المسامرة ، وتقص الحكايات بأنواعها الواقعية التي حدثت أو الخرافية التي سمعت لتزجية الوقت ولجلب السعادة والمحبة .

ومن الحكايات الواقعية التي سمعها الباحث في مجلس « حمد بن محسن النعيمي » حكاية « حماية الجار » وحكاية « الضيف الولهان » وحكاية « راعي البل ( الإبل ) » ، وحكاية « طلب الثار » .

ومن الحكايات الخرافية التي سمعها الباحث في هذه المناسبة في مجلس « شبيب المناعي » في « أبي ظلوف » سالفه « الفسيجرة » وسالفه « الصافية » .

## ٢ - مجالس النساء :

تجلس النساء الجارات أو القريبات مع بعضهن بعضاً في حوش البيت تحت شجرة أو تحت حائط ، أو في المجلس العام المخصص للرجال في حال غيابهم ، يشتغلن بمختلف الأشغال اليدوية ويتحدثن في كل أمورهن ويقصصن الحكايات .

وتنقسم هذه المجالس أو المقاعد كما تسمى عندهن إلى الآتي :-

### ( أ ) مقعد الضحى :

تأتي الجارات من نساء الحي أو الفريق ويجتمعن عند جارتهم في وقت الضحى ، ويبدأن في التحدث بمختلف أنواع الحكايات والأحاديث التي تخصهن ، وتحمل كل واحدة في يدها شيئاً تصنعه أو تعمله ؛ فواحدة تحمل ابرة وخيطاً وتطرز أطراف الثياب المعروف عندهم باسم الزري ، وثانية تصنع ثياباً لأبنائها وأسرتها ، وثالثة تضع العيش ( الأرز ) ، في ملة ( وعاء ) لتنقيته ، ورابعة تغزل خيوطاً على مغزل ، وخامسة ، وسادسة . . . الخ .

(١) مسند بن سعد المسند - الخور - موظف - ٤٣ سنة .

(٢) محمد طالب الدويك - الأغنية الشعبية في قطر ج ١ - ص ٨٥ .

وتقوم الجارة المضيفة بصنع الشاي لهن ، ويطلق عليه شاي الضحى ، وهو أمر لا بد منه . فإذا ما سألت امرأة ، أين كنتِ يا فلانة ؟ تقول : كنت عند فلانة أشرب شاي الضحى .

وقد قيلت في شاي الضحى أغنية ، يقول مطلعها :

ما أحلى شاي الضحى ، وما أحلى حديثه

والحديث في هذه الجلسة ، ذوشجون ، والسالفة تجيب السالفة كما يقولون في قطر . ومن السوالف التي حصل عليها البحث سالفة الخثاق<sup>(١)</sup> الذي طبخته امرأة بحبره ، فأصبح العيش أسود ، ولما رآته أسود ، جاءت إلى عمتها<sup>(٢)</sup> تسألها عن سر سواد العيش الذي طبخته . فقالت لعمتها : يا أيمّة ، أنا ما أدري شلون تطبخين الخثاق مع العيش ولا يتأثرون العيش معك ؟ بينما يخرج عيشي أسود ؟ . فردت العمة عليها قائلة : سوّد الله وجهك ( وجهك ) ، أنت خبلة ( هبلّة ) وش دهاك ؟ شلون تطبخين الخثاق بحبره وكل ما فيه ؟ ليش ما تنظفينه ؟ أنت هالحين عفست ( اتلفت ) الأكل ، وزوجك رايح يزعل عليك . المرة هذه ، قطّي ( ارمي ) الأكل ، ويبي ( أحضري ) خثاقاً جديداً من السوق واطبخيه من جديد ويسرعة قبل ما يدش زوجك ( يدخل ) . وأنا هذه المرة راحمك ترى المرة الثانية تحملي ، ما في رحمة ، رايحة أقول حق زوجك . فذهبت المرأة إلى السوق بسرعة وأحضرت خثاقاً جديداً ونظفته من حبره ومن أوساخه وطبخته ولما طبخته خرج العيش أبيض ، وجاء الزوج وأكل من العيش والخثاق ومدح اللي طبخته ، ورحنا عنهم وجينا ، حتى حاجة ما عطونا .

ومن السوالف الأخرى التي وردت للبحث من هذه الجلسات ، سالفة « المرأة الهبلّة » وسالفة « زوجة الأب » .

#### ( ب ) مقعد العصر :

وهو مقعد أيضاً خاص بالحريم ، تجلس فيه الجارات في الفريج عند جارة من الجارات ، ينجزن فيه أعمالهن التي بين أيديهن ، فمن لم تنجز الزري في الصباح ، تكمله عند العصر ، والتي لم تنته من عمل الثياب بعد ، تنتهي منه في هذه الجلسة ، . . . . الخ .

اذن فهذه الجلسة هي امتداد للجلسة الصباحية ، وهي أيضاً تتم في الحوش أو المجلس ، إن خلا من الرجال ، غير أنها لا تكون في نفس المكان الأول الذي جلسن به في الصباح ، وبعبارة أكثر وضوحاً ، لا تجلس النساء في نفس الزاوية من الحوش ، أو الحائط أو شجرة السدر المعينة ، بل تجلس في زاوية أخرى أو تحت حائط آخر ، أو باتجاه آخر من الشجرة أو غيرها .

وقد سأل الباحث في هذا الأمر ، كلاً من السيّدتين ، « محمد الجفيري » ، « صلاح الملا » . فأجابا : هذا شيء طبيعي أن يختلف مكان الجلوس ، فظلّ الصباح يختلف عن ظلّ المساء . ففي

(١) الخثاق : وهو نوع من أنواع السمك الهلامي .

(٢) عمتها : أم زوجها .

الصباح تكون الشمس بازغة لتوها ومحدثة ظلاً متجهاً نحو الغرب ، على حين يكون الظل متجهاً إلى الشرق بعد العصر .

وعليه فان كانت النساء تجلسن تحت سدرية كبيرة ، كما كان يحدث في بيت صلاح الملا - فانهن ينتقلن من مكان لآخر تحتها بحسب الظل ، وان كن يجلسن تحت حائط فينتقلن من حائط لآخر أيضاً بحسب الظل ، ناهيك عن انهن لا يجلسن في بيت واحد أو حوش واحد ، بل ينتقلن من بيت إلى بيت ومن حوش إلى حوش ، عند هذه الجارة أو تلك بحسب دورها في الزيارة ، وسألهما الباحث : ماذا تشرب النساء في هذه الجلسة ؟ فقالا : الشاي والقهوة . فقال الباحث : اذن لماذا يشتهر مقعد الصباح بالشاي دون مقعد العصر ؟ فقالا : لا اختلاف بين المقعدين فهما متممان لبعضهما بعضاً ، وفيهما شاي وقهوة ، إذ من المعروف في أي جلسة كانت في قطر والخليج أن يكون فيها شاي وقهوة ، فحيث يوجد الشاي توجد القهوة ، ولا اعتبار لذكر واحد دون الآخر ، فالاثنتان موجودان ، ولكن الذي يحدث كما قال محمد الجفيري : هو انهن يذكرن الشاي فقط ، على اعتبار أن ذكر الجزء يغني عن ذكر الكل .

الآن صلاح الملا ، أبدى وجهة نظر أخرى فقال : قد يحدث أن يقدم الشاي فقط في بعض جلسات الصباح لعدم توفر القهوة عند بعض المضيفات مما يجعل الجلسة تقتصر بالشاي فقط دون القهوة ، وهذا نادر وقليل في هذا المجتمع .

أما محمد الجفيري ، فلم يوافق صلاح الملا على وجهة نظره ، وقال : قد يكون هذا ولكنه بآية حال من الأحوال هو رأي ضعيف لا يستند إلى حقيقة .

وأخيراً سألهما الباحث ان كانا يعرفان بعض السوالف التي تقال في هذه الجلسة ، فذكرا ، سالفة « الأخت الشريفة » وسالفة « زوجة الأب » .

### ٣ - مجالس الأسرة :

ونقصد بها هنا « الحزاوي »<sup>(١)</sup> التي تقص بعد العشاء ، في معظم الليالي وخاصة في ليالي الشتاء الباردة ، وهي جلسة عامة لا تقتصر على واحد دون الآخر أو جنس دون جنس ، بل يجتمع فيها عنصر الرجال ويتمثل في الأب والجدة وكذلك العم والخال - إن وجدا - وعنصر النساء ويتمثل في الجدة والأم والأخت الكبيرة ، وكذلك العممة والخالة - إن وجدتا - وعنصر الأطفال ذكوراً كانوا أو إناثاً ، وهو جمهور المستمعين لهذه الحزاوي ومن أجلهم عقدت الجلسة . من هذه العناصر يكون الجورحياً وواسعاً لقص الحزاوي . فجميع عناصر القص موجودة ، فالكبار من النساء والرجال ، وكذلك الأطفال ، جميعهم موجودون وكلهم شغف للسمع .

لذا كانت تنعقد جلسات في البيوت ، تجمع الأسرة ، يحكون فيها ما لذ وطاب من الحزاوي في الليل ، كي يتحول الأطفال إلى البشاشة والسرور ومن ثم النوم .

---

(١) الحزاوي : الحكايات أو السوالف أو القصص التي تقص في الليل حتى ينام الأطفال .

ومن الحزاوي التي جمعها الباحث في بحثه حزاية « السحارة » وحزاية « المرأة داخل الجيفة » وحزاية « بنت الوزير » وحزاية « مكر النساء » .

ومما يقص أيضاً الحكايات التي تتحدث عن ذكريات الجدة والجد التي عرضت لهما في حياتهما أو سمعاها ، فيتحدثون في كل الشئون ، ومنها شئون البحر ، لذا نجد الابن أو الابنة ، عندما يسمع عن البحر وصروفه ومخاطره يطلب من جده أن يحدثه عن حادثة حدثت له وهو في البحر في السابق ، أو سمعها حدثت لغيره ، فيبدأ بالقص والجميع سكوت لا يعكر صفو هذا السكوت غير رشقات القهوة العربية المدارة في الجلسة ، وبعد أن ينتهي الجد من حديثه ، يطلب الأبناء المزيد من الحزاوي ، ويسألونه عن كل شيء يدور بخلداهم وخیالهم الصغير ، سواء أكان واقعياً أم تصورياً ، والجد كله آذان صاغية لما يسألون ، ويجيبهم بكل سعادة - على حد معرفته - ويصدقهم القول في كل ما يقول .

وبعد أن يأخذ الأطفال ما عند جدهم من حزاوي ولا يبقون له إلا القدر اليسير الذي غاب عن ذاكرته في هذا اليوم ، ليتذكره في اليوم القادم ، يطلبون من جدتهم أن تحدثهم بالمزيد ، ولكن هذه المرة عن تجاربها التي مرت في حياتها ، أو الحزاوي التي تحفظها من غيرها . وتبدأ الجدة بالقص إلى أن تصغر عيون الأولاد ، وتتدثر جفونهم بالنعاس ، ولكن بالرغم من هذا النعاس ، فانهم يطلبون من والدتهم أن تحاكيهم هي الأخرى بالمزيد من الحزاوي إلى أن يلفهم النوم في سباته العميق . وقص الحزاوي واحد في جميع البيئات والفئات ، ففي مجتمع المدينة والقرية يجتمع الآباء والأمهات والأطفال والجندات والجدود في داخل المنزل المبني من الحجارة والأسمنت ووسائل البناء الحديث ، على حين يتم الاجتماع في مجتمع البادية تحت بيت الشعر المصنوع من وبر الجمال وشعر الماعز ، فنجد الأم وقد جمعت من حولها أبناءها وبناتها تحاكيهم بحزايات كثيرة إلى أن يناموا ، وكذلك الجدة هي الأخرى - إن وجدت - تعمل على محازاة أولاد وبنات ابنها أو بنتها ، إلى أن ينام الجميع . وكذلك الأخت الكبيرة أو العمة أو الخالة ، تعمل كما عملت الأم والجدة ، فالقصد واحد والهدف واحد ، القصد هو تسلية الأطفال ، والهدف هو نومهم .

أما الأب أو الجد أو الأخ الكبير - إن وجد في الجلسة - فلا مناص من أن يشترك هو الآخر في سرد الحزاوي على الأبناء ، كما حدث مرة لأحمد بن محمد الهاجري<sup>(١)</sup> حين عرض على أبنائه أن يحاكيهم بحزاية « فسيجرة » وفعلاً بدأها ، وبينما هو مستمر في سردها والأطفال منسجمون في أحداثها قاطعه ابن له قائلاً : أنت ما عندك إلا هـا لسالفة ، كل مرة تقولها لنا . فسكت الأب وهب الأطفال لإسكات أخيه ، غير أنه ترك الجلسة وذهب إلى غرفة أخرى ، مما اضطر والده أن يسترضيه ووعدته بعد الانتهاء من هذه الحزاية أن يحاكيه بواحدة جديدة . وفعلاً حازه بحزائتين ؛ الأولى : « الرهان » والثانية :

(١) أحمد محمد الهاجري - الدوحة - ٥٧ سنة .

« الصديق الوفي » فهذا خاطره ونام ، ونام الأطفال جميعاً .

أما ما حدث لأحد البدو فهو دليل على مدى انتشار المحازاة حتى عند البدو .

قال الرجل : جلست في ليلة من الليالي في شقي<sup>(١)</sup> أحازي أبنائي وبدأت أقص عليهم حزية « غدر الزوج » وحزية « الرجل الأسود واللصين » وفي أثناء المحازاة وجدت أن عدد الأبناء بدأ يتناقص من عندي ، فنهضت من مكاني لأجد أبنائي وقد تجمعوا في شق الحريم عند والدتهم يستمعون إلى ما تقول من محازاة . فأنصت إليها فإذا بها تحازيهم بحزية « رحنا ثلاثين وجينا ثلاثة » ثم انضمت إلى جلستهم وأخذت أستمع مع المستمعين من أبنائي إلى محازاتها إلى أن نام الأطفال جميعاً .

وكما قلنا من قبل في الفصل السابق يعتبر الأولاد من أدق آلات التسجيل لأشرطة الحكايات والحزاي ، تحذوهم الرغبة على الاكتشاف ويدفعهم حب التعرف على المرئي والمجهول من العالم الذي يحيط بهم ، وحبهم كذلك على المحاكاة والتقليد لأمر كثيرة ، في هذه الحياة ، فهم أشد ما يكونون إصغاء للأحداث والاسهاب في تقصّيها . وعليه ، فهم خير مادة يمكن أن نعتمد عليهم في النقل للحكايات والحزاي ، فهم يأخذون هذه الحزاي والسوالف وينقلونها إلى أترابهم ، كل بسنه ومفهومه ، فالصغير ينقلها بمنطقه وأسلوبه الذي لم يسعفه بعد على نقل الشيء بحذافيره ، فنجد البتر وكذلك الزيادة والخلط في كثير من منقولهم . والكبير ينقلها بمنطق وأسلوب أرقى من الصغير ، بحيث تصل إلى غيره مكتملة نوعاً ما إذا ما قيسَتْ بسابقتها عند الصغير .

وهكذا نجد أن النساء والرجال والأطفال يشكلون جلسة الحزاي بعد العشاء ، كل منهم يدلي بدلوه إلى أن يصلوا إلى هدف هذه الجلسة ، وهونوم الأطفال ، وحين ينام الأطفال يدلف الجميع إلى فراشه .

ونختم هذه الحزاي التي تحكى عند تنويم الأطفال وهددهتهم بهذه الحزية ، « الغزالة والذئب »<sup>(٢)</sup> . « كان في قديم الزمان غزالة ولها ابن اسمه « محمد » وابنة اسمها « فاطمة » . وكان من عاداتها أن تخرج كل يوم إلى البر ، ترعى وتأتي بالحشيش ( العشب ) واللبن إلى ولديها وعندما تأتي تطرق الباب وتقول : « يا وليدي يا محمد ، يا بتي يا فاطمة ، افتح الباب المكرم ، الحليب بطط ديودي »<sup>(٣)</sup> والحشيش بطط قروني »<sup>(٤)</sup> . ويسرع الولدان ويفتحان الباب لها ، فيأكلان العشب ويرضعان الحليب من صدر أمهما . وذات مرة ، خرجت الأم في الصباح الباكر ، وكان الذئب يترقبها إلى أن ابتعدت ، فأتى إلى الولدين وأخذ يطرق الباب عليهما ، فأحسّا بمكر الذئب ، فلم يفتحا الباب له ،

(١) شقي : يقصد هنا الجزء الخاص بالرجال من بيت الشعر .

(٢) راشد إبراهيم المسند - الخور - مقال - ٥٥ سنة .

(٣) بطط ديودي : شق ثدياي .

(٤) بطط قروني : شوك قرناي .

فقال لهما : انتي أمكما وأخذ يردد عليهما ما كانت تقوله لهما الأم . لكنهما قالوا له : إذا كنت أمنا حقاً فمدّ لنا ذيلك لنجسّه ، فان كان ناعماً فأنت أمنا وان كان خشناً فأنت الذئب ، فخاف الذئب ولم يمد ذيله بل ذهب إلى بائع السمن واشترى قليلاً منه واشترى مشطاً وأخذ يدهن ذيله ويمشطه بالمشط إلى أن أصبح ناعماً ثم ذهب إلى بيت الغزالة وطلب من الولدين أن يفتحا له الباب . فقالا له : مد ذيلك ، فمده من تحت الباب ، وحين لمساه وجداه ناعماً ، ففتحا الباب له فوراً ، والتهمهما مرة واحدة ، وكان قد جرح أصبع فاطمة من أسنان الذئب ، وخرج الدم وظل أثره عند الباب ، وبعد مدة بسيطة رجعت الأم إلى البيت وأخذت تنادي : « يا وليدي يا محمد ، يابتي يا فاطمة ، افتح الباب المكرّم ، الحليب بطّط ديودي ، والحشيش بطّط قروني » .

فلم تسمع أحداً ، فخافت وأخذت تسأل الجيران فأجابوها بأنهم لم يروا فاطمة ولا محمداً ، ولما رأت الأم الدم عند الباب ، أيقنت على الفور أن الذئب قد أكل وليديها ، فأخذت تبكي وذهبت إلى القاضي وحكت له الحكاية ، وشكت له أمر الذئب فقال لها القاضي : أما قلت لك يا غزالة : في البر لا ترعين . فقالت له : حسبي ، وحسبي ، وحسبي ، وحسبي ، ونعم الوكيل .

فأمر القاضي باحضار جميع الذئاب ، وعند حضورهم ، لاحظوا انتفاخ بطن أحدهم ، فأحضروه ، وسأله القاضي : من أكل الولدين ؟ فقال : أنا ، حينما كنت جائعاً . وعندها ، أمر القاضي بفتح بطن الذئب واخراج الولدين . وفعلاً خرج الولدان دون أي مكروه لهما ، سوى أصبع فاطمة الذي جرح من أسنان الذئب ، وفرحت الأم بأولادها وتعلمت درساً لن تنساه ، بالا تترك أولادها لوحدهم بل تأخذهم معها ، أينما تذهب ، ورحنا عنهم وجينا حتى شيء ما عطينا<sup>(١)</sup> .

وهكذا نرى بعد أن استعرضنا المناسبات التي تحكى فيها الحكايات أن معظم هذه الحكايات الخرافية منها والواقعية قد لازمت الإنسان القطري في جميع مجالسه ، وسارت مع دورة حياته من صغره إلى كبره وتناقلتها الأجيال من جيل إلى جيل ، ومن وقت إلى آخر .

(١) وحينما سمع الباحث هذه الخزية تذكر فوراً الحكاية المماثلة لها ، التي كانت والدته تروى له في مدينة الخليل الفلسطينية حين كان صغيراً .

وتقول هذه الحكاية : « كان يا ما كان ، في قديم الزمان ، والي يحب النبي بيعث له السلام - فيقول الحاضرون : ( عليه الصلاة والسلام ) - كان هالغنمة ولها ثلاثة أولاد ، يدعى الأول ( سمع ) والثاني ( معمع ) والثالث ( ذنية ) المكحلة كل يوم هالغنمة تخرج من البيت وتفلق بابه على أولادها وتذهب إلى المرعى لترعى حتى يتكوّن الحليب عندها ثم تعود إلى بيتها ومعها الحشيش والحليب الذي تكوّن نتيجة أكلها العشب ، وعندما تعود ، تقف عند الباب وتقول : هي يا سمع هي يا معمع هي ذنية المكحلة .

افتحوا لي الباب المغلق ، على قريناتي حشيش في بيزراتي حليب » فيفتحوا لها الباب ، فتطعمهم وترضعهم وتنام معهم . واستمر الحال على هذا الشكل . وفي يوم من الأيام ، سمعتهم الغولة التي تسكن بجانبهم . واستغلّت ذهاب الأم إلى المرعى فأنت إلى الدار الغنمة ونادت بصوت أجش « هي يا سمع ، هي يا معمع ، هي يا ذنية المكحلة افتحوا لي الباب المغلق ، على قريناتي حشيش ، في بيزراتي حليب » .

== فردوا عليها : اذهبي ، أنت مش أمنا ، أنت الغولة ، دلي ذنبك على شان نحسه ، فدلّت ذنبها من تحت الباب فحسّوه ووجدوه خشناً ، فقالوا لها : امنا صوتها اعم وذنبها ناعم ، فذهبت الغولة إلى بيتها وشربت عسلاً ومشطت ذنبها بالمشط بعد دهنه بالدهن ، ثم رجعت ، وقالت بصوت رفيع يشبه صوت الأم ، نفس العبارة السابقة . فقالوا لها : دلي ذنبك نحسه ، ولما حسّوه وجدوه ناعماً ، فصدّق سمع ومعهم بأنها الأم غير أن ذنبيّة المكحلة ، قال لها : هذه مش أمنا ، هذه الغولة . فلم يردّا عليه ، فذهب هو واختبأ تحت الطشت . وفتح سمع ومعهم الباب فأكلتهما ، وفتست عن ذنبيّة المكحلة ، فلم تجده ، ثم خرجت من الدار وذهبت إلى بيتها ، ولما رآها ذنبيّة المكحلة قد خرجت قام وقف الباب وجلس ييكبي . ولما جاءت أمهم ، قالت نفس العبارة السابقة « هي يا سمع هي يا . . . . . الخ » ففتح لها الباب وهو ييكبي ، وسألته عن أخوته ؟ فقال لها : اكلتهم الغولة . فقالت له : لا تحزن واطعمته وارضعته ثم ذهبت إلى بيت الغولة . ودقّت الباب ، فقالت الغولة : « مين دق على بابنا ، كسر فخارنا ، الله بكسر رقبته ، يطعمني من لحمه » . فردّت الغنمة عليها وقالت : « أنا الغنمة الحوليّة ، ورواية أخرى ( الحوريّة ) ، أم القرون الملوية ، واللي أكل سمع ومعهم ، يلاقيني على البرية » .

فردّت عليها الغولة : « مش اليوم ، بكرة ، بس أحط لي قرون وفي اليوم الثاني ، جاءت الغنمة وكررت الغولة نفس العبارة السابقة ، وردّت عليها الغنمة بنفس الإجابة . فقالت الغولة لها : « طيب » وقامت ووضعت لها قروناً من تراب ، جبلته بالماء - لأنها ستنازلها بنفس السلاح الذي تمتلكه الغنمة وهو القرون - وقالت الغولة للغنمة : « أنا دوري الأول » ، فوافقت الغنمة . وجاءت الغولة مسرعة وضربت قرنّها في بطن الغنمة فأنكسر ، ثم حاولت مرة أخرى في قرنّها الثاني ، فأنكسر . عندها قالت الغنمة : الآن دوري « وجاءت مسرعة ، وضربت قرنّها في بطن الغولة ، فسطحته وماتت الغولة وخرج سمع ومعهم ، فغسلتهما الغنمة وأطعمتهما وأرضعتهما ، وعادت بهن إلى البيت ، وعاش الجميع عيشة حسنة ، وأصبحت لا تخرج الغنمة إلا وأولادها معها » .

هاتان الحكايتان ، القطرية والفلسطينية ، حكايتان متشابهتان - نوعاً ما - وإن اعتراهما ما يعترى كل الحكايات المختلفة البيئة . ففلسطين بيئة جبلية في معظمها ، لذا فأهلها يحبّون صعود الجبال ، ويأخذون حقهم بأيديهم . على حين قطر ، بيئة صحراوية سهلية منبسطة ، مما جعلهم يرجعون قضيتهم للقاضي الذي أخذ بحقهم وأنصفهم . وهذا يمثل طبيعة قطر الأبوية التي تعود إلى القائد الشيخ أو القاضي العدل ، الذي يحكم بين الناس .

إن هذه الحكاية ، هي من حكايات الحيوان التعليمية ، وهدفها المحافظة على الأبناء من الأخطار المحدقة بهم ، وعدم تركهم فريسة الإهمال .

لقد وجدنا الذئب والغزالة والابن والابنة ، هم أبطال الحكاية القطرية ، على حين كانت الغولة والغنمة ( التي حلت محل الغزالة ) والأبناء الثلاثة هم أبطال الحكاية الفلسطينية .

## **الفصل الثالث**

### **دور الراوي في تطوير وتغيير القص الشعبي**

- الراوي المبدع :
- الراوي المحافظ :
- دور الشعب في الرواية والإبداع :



## دور الراوي في تطوير وتغيير القص الشعبي

إن الراوي ، هو الشخص الذي يمنح الحكايات الحياة حين يحملها ويرويها للآخرين ، فتنقل هذه الحكايات من راوٍ إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر ، ويانتقالها يعثرها تطوير وتغيير على أيدي الرواة .

ولقد قام حول هؤلاء الرواة والحفظة جدلٌ عنيف بين العلماء بشأن روايتهم للحكايات ونشاطهم في هذا الدور .

فالفيلسوف الألماني «هردر» يصر على أن مبدع هذه الفنون الأدبية الشعبية هو الشعب لا غير ، وتابعه في ذلك الاخوان « جريم » اللذان جمعا ( حكايات البيوت والأطفال ) ، رغم أنهما قد أشارا إلى بعض القدرات الفردية المتطورة في الرواية .

ويقابل هذا القول ، رأيٌ قال به العالم الألماني « هانز ناومان » ، ويذهب إلى أن الشعب لا يبدع شيئاً جديداً ، وإنما يعيد صياغة شيء موجود أبدعه أفراد متميزون <sup>(١)</sup> .

أما العالم السويدي « سيدوف » فيقول ، « إن المأثورات الشعبية لا تنتمي إلى الشعب بكامله ، وإنما هي تلحق بأفراد بذواتهم وهم الحفظة والرواة » <sup>(٢)</sup> .

ونبه إلى هذا الدور الكبير الذي يقوم به الفرد في الحكاية عالم آخر هو « أزا دفسكي » الذي تأثر به باحثون كثيرون في إبراز أثر القاص الفرد منذ أن أعلن رأيه في سنة ١٩٢٦م <sup>(٣)</sup> .

وهكذا اختلف العلماء بين فردية المؤلف أو عبقرية الشعب بأكمله ، ثم انحسم هذا النزاع أخيراً في هذه المسألة برأي يقول : « إن مجهولية المؤلف لا تعني لا شخصية المؤلف » <sup>(٤)</sup> .

وإذا نظرنا إلى أحدهما فقط ، فردية المؤلف أو عبقرية الشعب دون الآخر ، وقعنا في خطأ كبير ، حيث أن الفرد يبدع ، والمجتمع يتلقى ، ومع الزمن يحور ويحور ويسلم إلى من يليه من المجتمعات حتى يكتب لهذه الحكايات التواتر والحفظ <sup>(٥)</sup> . والمجتمع أو الشعب لا يتلقى هذا الإبداع الفردي إلا إذا دخل ضمن اهتماماته الروحية وأحبه ، ومن ثم يقوم بنقله .

وقبل أن نسدل ستاراً على هذا الجدل العنيف ، لابد لنا من أن نبين هذه الحقيقة في تأليف الأدب الشعبي ، لنصل في النهاية إلى تقرير حقيقة رواة هذا الأدب . « فمن ذا الذي يؤلف هذه الأنواع الأدبية بأشكالها المحددة ؟ أهو الشعب كله أم هو فرد بعينه ؟ وهل من المعقول ، أن الشعب كله يمكن أن

(١) د . عبد الحميد يونس - مجلة عالم الفكر - العدد الأول - المجلد الثالث - ص ٢٣ .

(٢) أحمد رشدي صالح - مجلة عالم الفكر - العدد الأول - المجلد الثالث - ص ٦٥ .

(٣) د . سهير القلماوي - مجلة عالم الفكر - العدد الأول - المجلد الثالث - ص ١٤٩ .

(٤) يوري سوكولوف - الفولكلور قضايه وتاريخه - ترجمة عبد الحميد حواس وزميله - ص ٢٢ .

(٥) د . سهير القلماوي - مجلة عالم الفكر - ص ١٣٣ .

يجتمع ليؤلف أسطورة أو حكاية خرافية أو شعبية على سبيل المثال ؟ أو هل يمكنه مجتمعاً أن يؤلف النكتة بشكلها الموجز المليء بالمغزى والسخرية ؟

ان هذا لا يمكن أن يحدث بطبيعة الحال . ولم يبق سوى أن نفترض الأصل الفردي للإنتاج الأدبي ، وهذا الفرد الخلاق لا يعيش حياة ذاتية بعيدة عن المجموع ، إنما يعيش حياة شعبية صرفة ، وهو بما له من نشاط ابداعي خلاق يخلق الكلمة المعبرة التي سرعان ما تلقى هوى بين أفراد الشعب جميعه ، إذ تكمن فيها روحه وتجاريه ومشكلاته <sup>(١)</sup> .

لعلنا ندرك بعد أنوضحنا موضوع التأليف في الأدب الشعبي ، أن التأليف لم يعد بعد مشكلة يجتهد الباحث في حلها . فالبحث عن مؤلف شكل من أشكال الأدب الشعبي ، فيه ضياع لجهد الباحث ؛ لأن هذا الأدب لا يكشف عن مشكلة فرد بعينه ، وإنما يبحث عن روح الجماعة ومشكلاتها . وقد يكون الفرد الشعبي الذي يؤلف النص الشعبي معروفاً لدى قومه الذين يعيش بينهم ولكن لا يلبث أن ينسى اسم المؤلف ، ويستمر الشعب في ترديد ما ألفه عبر العصور . فإذا عرفنا ذلك يمكننا أن نقدم تعريفاً واضحاً للأدب الشعبي . « فالأدب الشعبي ، هو الأدب الذي يعبر عن مشكلات روحية جماعية . وقد أطلق بعض الباحثين على هذه المشكلات الروحية الجماعية تعبير الانشغال الروحي الشعبي ، ويتسم هذا التعبير بطابع فلسفي بسيط ، يرتاح إليه الشعب ويفهمه ، كما ان هذا التعبير يستخدم لغة تنبع من لغة الشعب ، ولكنها تسمو عليها ، بعد أن تصبح لغة التعبير عن الانفعال الوجداني . فإذا استقبل الشعب هذا الأدب وارتاح إليه ، حرص على ترديده ولا يحرص على معرفة مؤلفه . ومن ثم ينسى المؤلف ويبقى الأدب » <sup>(٢)</sup> .

فإذا كان هذا الحال في مجال التأليف ، فمن باب أولى أن يكون في مجال الرواية ، فالشعب يتلقف ولا يروي ، بل تقع الرواية على عاتق الرواة المبدعين ، الذين تمثلوا خلجات شعوبهم النفسية واهتماماتهم الروحية ، بعد أن كانت محجوبة عنهم ، لينقلوها إلى الناس عبر الأزمان والأجيال .

« اذن فرواية القصص الشعبية ، ليست موهبة تأتي كل فرد من الأفراد ، فبعض الناس يمتازون فيها ، وعلى حين أن بعضهم الآخر لا يبالون بها ، أو يعجزون دونها » <sup>(٣)</sup> .

ولهذا ، فإن البحث سوف يحاول أن يبرز هذين العنصرين وأثرهما على الحكاية الشعبية في المجتمع القطري .

أما الأفراد المبدعون ( الرواة ) ، فهم الذين يجعلون المأثورات الشعبية حية متداولة بين الناس ، على حين نجد أفراداً آخرين يتلقون ولا يبذلون جهداً في إذاعة ما يتلقونه ونشره .

(١) د . نبيلة إبراهيم - أشكا التعبير في الأدب الشعبي - ص ٤ .

(٢) د . نبيلة إبراهيم نفسه .

(٣) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - ص ١٨٩ .

إذن فهناك صنفان من الرواة من حيث الإبداع والتقليد ،

الأول : يمثله الرواة الذين تحدّث عنهم « يوري سوكولون » في حديثه عن رواية الشعر الروسي فذكر « أنهم يتصرفون في فنونه تصرفاً يجعلك تعدهم مبدعين ومؤلفين »<sup>(١)</sup> .

الثاني من الرواة : يحافظ على النصّ محافظته على المقدمات لا يسقط حرفاً ولا ينسى كلمة ، وإذا شعر أنه أخطأ ، عاد يقصّ الحكاية من أولها ، كما ذكر الاخوان « جريم » عن الراوية الفلاحة التي أعجبا بحفظها العجيب والمدعوة « فيهمانين » .

فقد كانت هذه السيدة تحتفظ في ذاكرتها بحكايات كثيرة ، وهي موهبة لا تمنح لكل إنسان ، بل ان بعض الأفراد لا يمتلكونها على الإطلاق ، ومن ثم تقصّ « فيهمانين » حكاياتها في حذر وثقة وحيوية صادقة بل انها تستمتع بما تقصّه »<sup>(٢)</sup> .

أما بالنسبة لعملي ، فقد وجدت النوعين من الرواة في قطر ، الراوي المبدع ، والراوي المحافظ . فمن المبدعين هذا الرجل من الدوحة السيد « خليفة السيد »<sup>(٣)</sup> كان يتصرّف في الحكاية بوعي وإدراك ليصل إلى الغاية التي يرجوها في إرضاء السامعين .

وذلك أنني استمعت إليه يقصّ حكاية واحدة بنصّين مختلفين بعض الشيء حسب رغبات السامعين الذين التفّوا من حوله كباراً وصغاراً ينصتون إلى ما يقول من حديث ، وهو يتصرّف كما يشاء عن وعي وإدراك لما يقول ، فمرة يطيل الحكاية ويدخل أشياء من عنده ، ليدلل على الوفاء والمحبة لما يقول ، ومرة يقصّر الحكاية ويوجزها إن كان الجو غير مساعد والوقت قصير ، كما حدث في حكاية « نعمة السلطان »<sup>(٤)</sup> - المذكورة من قبل - حين سمعتها منه أول مرة في مجلسه - ولم يكن في المجلس وقت ذاك إلا بعض الأصدقاء المقربين - يثبت فيها عدم وفاء الشرطي وكذلك المرأة وكذلك السلطان ، وقد استغرق وقتاً طويلاً وأسلوباً مسترسلاً مشوقاً . وقد سمعتها منه مرة أخرى في مجلس رجل ، من ذوي المراكز العليا ، فحكّاها بأسلوب موجز ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : لكلّ مقال مقام ، فالوقت والناس الموجودون هنا لا يسترعي مني الإطناب بقدر الإيجاز . ودونكم النصّ الموجز :

« أشرف رجل على الموت فدعا ولده وقال له : لا تعطِ سركَ لأمرأة ، ولا تخاوي صبيّ ديوان ( شرطي ) ثم مات الرجل . وفي يوم أراد الابن أن يتحقّق من صحة وصية والده ، فقام وسرق نعمة السلطان ( الشيخ ) وأدعى أنه ذبحها ، ثم أحضر لحم خروف لزوجته وقال لها : هذا لحم نعمة ، اطبخيه زين فعندي ضيف ، وتحملي ما تخبرين أحداً . فقالت له : حاشا ، ما أقول . ثم ذهبت إلى

(١) يوري سوكولوف - القولكلور قضاياه وتاريخه - ترجمة عبد الحميد حواس وزميله - ص ٢٢ .

(٢) فريدريش فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٤) النص الأول الكامل والطول موجود في فصل مناسبات القص في المجتمع القطري .

جارتها وعلمتها بالسالفه ، ونقلت الجارة الخبر حق جارتها الثانية وشاع الخبر .  
وعند الغداء جاء الشرطي وتغذى مع الرجل وعلم بالسالفه . وحين فقد الشيخ نعمته ، عين لمن يجدها جائزة مالية . فجاء الشرطي وأخبره بالسالفه ، فأرسل السلطان جنوده وألقوا القبض على الرجل وسألوا زوجته فأعترفت لهم بكل شيء . وحين رأى الرجل أنه قد وقع لا محالة قال للسلطان : نعمتك مخشوشة<sup>(١)</sup> في المكان الفلاني وقد عملت هذا لأثبت مدى صحة وصية والدي فعفا عنه السلطان بعد أن أخذ نعمته .

لقد تصرف خليفة بجسد الحكاية ، فأطال فيه في الرواية الأولى وأوجزه في الرواية الثانية ، كما أنه حذف فكرة كاملة في الرواية الثانية وهي بطش السلطان وجبروته ، وأكثر من ذلك جعله منصفاً عدلاً حين عفا عنه . كل ذلك صنعه الراوي لإسعاد مستمعه وإرضائه . وتصرف كذلك بالوقت فصاحبنا في الجلسة الثانية رجل أعمال كبير ومقرّب من السلطة وليس لديه الوقت الكافي لسماع المسترسل من القص ، فوجدنا خليفة قد اختصر زمن الحكاية وحذف منها ما لا يرضي ذوق مستمعه .

ان هذا الأسلوب لا يتأتى إلا لمن أوتي قدراً كبيراً من راحة العقل .  
وحكى هذا الراوي حكاية أخرى هي حكاية « وفاء الصديقين » بأسلوبين مختلفين نوعاً ما في جلسيتين مختلفتين ، فمرة جعل الضيف يقتل ابن المضيف ومرة ثانية لم يتعرض لهذا الموقف قطعياً ، بل جعل الضيف يرتحل ويقتل ابنه الأعور فقط حين علم بعلاقته بابنة المضيف وأرسل رأسه إلى مضيفه ليثبت أنه محافظ على شرفه . وتحكى الحكاية فتقول : « صلّوا على النبي ، كان يوجد صديقان ، كل واحد من قبيلة ، الله أراد وشّد ( ارتحل ) أحدهما عن قبيلته وسكن عنه صديقه في القبيلة الثانية ، فأكرمه الصديق غاية الكرم ، ورّحب به وأعطاه شقّه ( خيمته الكبيرة ) التي يسكن فيها ، ليقيم بها هو وزوجته وولده .

وكان عند الصديق المضيف ولد و بنت ، لم يكن الولد موجوداً في هذا الوقت حين أعطى الوالد الخيمة للضيف ، قام الضيف ونام بداخل الشق والمضيف في خارجه ، وفي نفس الليلة ، جاء الولد متأخراً كعادته ودخل إلى داخل الشق لينام عند أمه ككل ليلة - إذ لم يذكر المضيف للضيف أن له ولداً من عادته أن ينام بجانب أمه - ولما دخل الولد خلع ثيابه ونام بجانب المرأة معتقداً أنها أمه ، وما ان استقرّ حتى هبت المرأة من نومها وصاحت وولولت ، فقام زوجها ، ورأى رجلاً آخر بجانب زوجته ، فاستلّ سيفه وضرب الولد فقتله ، ثم أخبر ضيفه بالسالفه كيف دخل الرجل إلى الداخل ، ولما رآه المضيف عرف ابنه فقال : سوّد الله وجهك ، هذا ولدي وليس غريباً ، ومن عادته أن ينام بجانب أمه . على كل الأحوال الغلطة مش غلطتك ولا يهّمك ، فهذا قتل خطأ وأنا مسامحك وخلّك عندي ، وصمّم على استمرار ضيافته إلى أن يبيّن لي بيتاً آخر من الشعر .

(١) مخشوشة : غبّة .

وبعد مرور مدة بسيطة ، وفي أثناء ما كان الضيف يلعب مع مضيفه لعبة قديمة مشهورة اسمها « الصُّبَّة »<sup>(١)</sup> ، أخذ يقول المضيف للضيف : شد والا أنا بشد وكررها مراراً ، وكان الضيف يظن أنه يعني إلْعَب وإلا أنا ألعب .

وبعد انتهاء اللّعبة عاد كل واحد إلى أهله ( زوجته ) فقالت زوجة الضيف لزوجها : ماذا جرى بينكما اليوم ؟ فقال لها العبارة التي يكررها المضيف . فقالت له : هو يقصد ، ارتحل والا أنا بأرحل ، فقال لها ، لا ، هذا لعب ، فقالت له : هو يقصد أنك يجب أن ترحل . فقال : مش ممكن يقولها بدون سبب لازم هناك سبب يجعله يقول هذه العبارة فقالت : جازي حصلت مضايقة من عيالك حق بنته ، لكن إذا جلستما هذه الليلة فقل له : لقد عزمت أن أشد ، فإذا صمّم وحلف فظني خاطيء ، وإذا سكّت أو قال شيئاً فظني في محلّه ، ولما جلسا ولعبا ، قال الضيف لمضيفه : حنا نوينا على الرّحيل وانت ما قصّرت ، طول الله في عمرك . فقال المضيف : على كيفك ، حنا على ما ذكرت ما قصّرنا ، وهذا واجبنا فأنت الأخ العزيز ، فقال الضيف : عَيْلَ أنا بُكره ماشي . ولما جاء الوقت المحدّد للسّفر حزموا أغراضهم على الجمال ومشوا ، وبعد ما مشوا فترة زمنية بسيطة سأل الأب ابنه الأكبر ، وشّ رأيك بينت فلان ؟ ترى هي حليوة وزينة ، عسى ما تصادقت معها وكوّنت علاقة ؟ فقال الولد : لا يايباه ، بنت فلان اعتبرها مثل أختي واللي يضرّها يضرّني ، والجماعة ما قصّروا معنا وأنا ما أكون قليل أصل أقصّر معهم . فتركه الأب واستدعى الولد الثاني وكان أعور ، فقال له : ها يا غوير عساك ما سوّيت شيء يسود وجهنا مع بنت فلان ؟ فقال له الولد : نعم كنت زي ظلّها الحقها من مكان إلى مكان ، فسّل الأب سيفه وقطع رأس الولد العوّز ( الأعور ) ووضع في كيس ، وقال لإبنه الأكبر : اذهب به إلى المضيف ، وقل له : أبوي يسلم عليك ويقول لك : سامحه ، والملعون هذا رأسه وما يكون خاطرك إلا طيب .

ولقد استمعت إلى راوٍ آخر في مجلس في سُميسمة<sup>(٢)</sup> ، يحدث بحديث خلّاب بهرني اعتمد فيه على أسلوب مشوّق ، ووصل إلى نتائج مقنعة أرضى جميع الموجودين ، وتركته في هذه الجلسة على أمل اللقاء به في جلسة أخرى ، وفعلاً التقينا في ١٩٧٤/١٢/٣٠م في سُميسمة ذاتها ، وطلبت منه أن يحدثني بالمزيد من الحكايات .

وبدأ يحدثني بالحكاية السابقة التي سمعتها في الجلسة الأولى واسمها « اليهودي التاجر »<sup>(٣)</sup> فرأيت منه تصرفاً كبيراً في الحكاية . إلّا أنّ الجميع كان مسترسلاً معه ، وكأنها حكاية جديدة ، ورضي الجميع عنها وعن أسلوبها .

(١) الصُّبَّة : لعبة تشبه الدّاما .

(٢) صالح الكواري - سُميسمة - مطوّع - ٦٠ سنة .

(٣) مثبتة في الملحق العام .

ان مثل هؤلاء الأشخاص يستحقون منا كل اهتمام ، وكل تفسير لما يقولون ويتحدثون .  
 واجتمعت برواية عجوز<sup>(١)</sup> في ١/١/١٩٧٥ م ، بصحبة صديق لي ، قريباً لها في منطقة الخور ،  
 وقصّت عليّ العديد من الحكايات منها هذه الحكاية « صلوا على النبي ، كان هالرجل ، اللي له زوجة  
 وعيال ساكنين في البر ( خارج المدينة ) .

وذات يوم جاءتهم شاة كبيرة ، فأدخلها الرجل في البيت ، وقال : يا فرحتاه ، لقد ظفرنا بها ،  
 سنحلبها ونشرب من حليبها حنّا<sup>(٢)</sup> والعيال . ويقوا على هذه الحال إلى أن جاء يوم راحت<sup>(٣)</sup> المرأة  
 تحلبها ، وبينما هي تسير طاحت<sup>(٤)</sup> المرأة ، فضحكت عليها الشاة ، وتروّعت<sup>(٥)</sup> المرأة وراحت حق  
 زوجها تقصّ عليه حكاية الشاة ، وإنها شاة جنية فكذبها زوجها ، وقال : عقب<sup>(٦)</sup> ما كبرت هذه الشاة ما  
 تريدنيها ، فقالت الزوجة : إذا لم تطرد الشاة فسأذهب أنا وعيالي عنك ، وأنت على كيفك . فقال : لا  
 أطردها بل أجلس في بيتي أحلبها وأنت على خاطرك ، حبّك<sup>(٧)</sup> تقعين أهلاً وسهلاً ، ما حبّك مع  
 السلامة ، فغضبت المرأة وذهبت مع عيالها عن الرجل .

وعندما جاء الرجل عند الشاة ليحلبها ، قالت له : وين ودّيت<sup>(٨)</sup> عيالك ، أنا ساكلك ، ثم أتبع أثر  
 عيالك وأكلهم .

هجمت عليه الشاة وأكلته ، ورحلت في أثر عياله ، ووصلت البيت الذي فيه يقيمون ، فطقت<sup>(٩)</sup>  
 الباب على زوجة الرجل . فقالت المرأة : من هو عند الباب ؟ فقالت الشاة : أنا الشاة اللّي ربّت عيالك  
 وكذلك أنت وزوجك .

وقبل قليل كليت<sup>(١٠)</sup> زوجها والحين أنا باكلك وياكل عيالك . فقالت لها الزوجة : اصبري عليّ  
 لين أقول لك قصيدة . فقالت المرأة قصيدة تدعو فيها جارها لنجدتها ، فسمعها الجار وجاء وفي يده  
 فأس هوى بها على ظهر الشاة فقتلها . ثم قصّت المرأة عليه سالفتها ، مما جعل الجار يتولّى أمر المرأة  
 وأمر أبنائها ، بعد موت عائلهم ، وهو الرجل الذي أكلته الشاة .

وعاش الجميع بعد ذلك في سعادة ، حين زال الشربموت الشاة ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ما  
 عطونا .

هذه الشاة ، هي شاة مسحورة وفاقدة لأصولها الإنسانية خلا صفة الضحك والكلام الذي مارسته  
 الشاة حتى وهي مسحورة .

- 
- |   |                       |
|---|-----------------------|
| (١) فاطمة السّحوتي ( أم لولة ) - الخور - ٨٠ سنة . | (٦) عقب : بعد .       |
| (٢) حنّا : نحن .                                  | (٧) حبّك : إذا أردت . |
| (٣) راحت : ذهبت .                                 | (٨) ودّيت : أرسلت .   |
| (٤) طاحت : وقعت .                                 | (٩) طقت : قرعت .      |
| (٥) تروّعت : خافت .                               | (١٠) كليت : أكلت .    |

وبدلاً من أن تصب جام غضبها على ساحرها وجّهته إلى أصحاب البيت الأبرياء ، الزوجة والزوج والأبناء ، فانتقمت من وليّ نعمتها أولاً الذي ضحّى بزوجه وأولاده من أجلها ، لتتبعه بقية الأسرة ، لكنها لم تفلح ، نظراً لذكاء الزوجة واستعمالها لسلّاح فتاك لم تدركه الشاة المسحورة وهي الكلمة المنطوقة ( القصيدة ) حين دعت الزوجة جارها لقتل الشاة ، فلبّى الدعوة بعد أن فهم القصيدة وضرب الشاة بفأسه فقتلها عليها .

وبقضائه عليها قضى على الشر الذي تجسّد في هذه الشاة ، وبذلك ألتأم عقد الخير - بعد أن رعى الرجل الزوجة وأولادها - وقام الخير على أنقاض الشر الذي ظهر بلا مبرر . وهكذا نستطيع أن نقف على نمط الحكايات السائد الذي يناسب ظروف الحياة وفكر الناس من خلال الحكايات المثبتة في هذا الفصل .

فالمجتمع القطري يرغب في الحكايات التي تتحدّث عن العبر والدروس كما حدث في حكاية « نعمة السلطان » حين أثبت الولد صحة مقولة والده وطبّقها في حياته .

ويرغب المجتمع كذلك في التسامح ، كما حدث في القتل الخطأ الذي أحدثه الضيف لابن مضيفه كما ويرغب المجتمع كذلك في الإنتقام ممّن أخلّ بالشرف . فقد قتل الضيف ابنه لما اكتشف حقيقة مطاردته لابنة مضيفه ، وأرسل رأسه دليلاً على الوفاء والإخلاص والشرف .

وأخيراً وجدنا « حكاية الشاة » تحضّ على نجدة الجار ، ومن ثم رعاية الأسرة التي ذهب عائلها عنها نتيجة غدر الشاة به .

كل هذه الأمور هي مطلب حياة القطري من حكاياته بعد انشغاله في أمور الحياة والمال ، حيث أصبح وقته ضيقاً لا يحتاج إلى الشرح والتفصيل بقدر ما يحتاج إلى أخذ الحكمة والعظة المستفادة من الحكايات الموجزة القصيرة . وبعد أن قصّت أم لؤلؤة حكاية الشاة المسحورة كان بيننا هذا الحوار :

يا أم لؤلؤة بارك الله فيك وسلمك الله على هذا الكلام الزين ، أبغي أسألك : . .

- كم عمرك الآن ؟

لا أدري ، يمكن ثمانين . وفعلاً منظرها يوحى بأكثر ، فهي مقعدة . وعمياء ، ولا شيء فيها ينبض بالحياة إلّا صوتها .

- هل حفظت هذه الحكايات وأنت شابة أو الآن ؟

شلون الآن ! بالطبع في مختلف مراحل حياتي وأكثرها وأنا شابة .

وش بلاك أنت تتطنّز عليّ ( تهزأ مني ) .

- هل تذكرين النساء اللائي أخذت عنهن <sup>(١)</sup> ؟

كثير ، لا يمكن عدّهن وأكثرهن متنّ يرحمهن الله .

---

(١) هي لا تعرف التانيث والتذكير ، ولكني أتدخل هنا لأضع الشيء في نصابه .

- أريد أن تحصري أهمهن ؟  
 أم جاسم ، أم حمد ، أم راشد .  
 - مَنْ هي أكثر واحدة تأثرت بها ؟  
 أم حمد .  
 - من أي بلد هي أم حمد ؟  
 من الخور ، وأغلبهن من الخور ، والباقي من الدوحة .  
 - كيف كنت تلتقين بهن ؟  
 في الأفراح والزيارات .  
 - هل كانت أم حمد راوية جيّدة ؟  
 نعم ، كانت أحسن مني .  
 - لماذا يا أم لولوة أراك تتصرفين في بعض الحكايات ، فمرة تحكيها مطوّلة ومرة مختصرة ؟  
 أقص الحكاية بحسب الجلسة والمستمعين ، فإن كانت الجلسة معقودة لهذا الغرض والمستمعين شغوفين لسماع القص ، أطيل وأتصرف ، حتى يرضى من حضر عن كل ما أقول . وإن كانت الجلسة قصيرة والوقت ضيقاً اختصر إلى حد الإيجاز ، مع بقاء الجميع في رضى تام .  
 - هل كانت أم حمد مثلك في هذا التصرف ؟  
 نعم ، كانت لبقّة إلى حد أننا نتابع كل كلمة تقولها وكأنها منزلة وأي حذف لما تقول ينقص الحكاية جمالها ، فهي بارعة في انتقاء العبارات وفي تكوين الأفكار حيث تضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب .  
 - من الإنسان الذي أثّر فيك أيضاً ، وكان له دور فعّال في أسلوبك الشائق ؟  
 والدي رحمه الله .  
 - ما نوع الحكايات التي كان يحدثك بها ؟  
 حكايات الغول وأبي درياه ، ورحلاته في البحر وغيرها .  
 - هل ما زلت تتذكرين ما قاله لك والدك عن أبي درياه ؟  
 نعم ، كان يظهر للبحّارة رجل له لحية بيضاء ، وجسم حيوان يزعج البحّارة ويأخذ أكلهم .  
 - هل لأمك أيضاً دور في الرواية ؟  
 نعم .  
 - ما هي أكثر حكاية ، روتها لك أمك وأثرت فيك ؟  
 حكايات وايد<sup>(١)</sup> ، ولكن أهمها حكاية أم حمار .

(١) وايد : كثير .

- هل ذكرت لك أنها قابلت أم حمار؟  
لا ، ولكنها سمعت من جاراتها أنهم صادف أم حمار .
- صف لي أم حمار كما سمعت عنها ؟  
امراة لها رجل كالمحش وأخرى رجل حمار ، وهي جني يظهر للنساء والرجال ويزعجهم .
- من كان أحسن حفظاً للحكايات ، والدك أم والدتك ؟  
كانت والدتي ، رحمها الله .
- هل كانت تنسى في أثناء القص ؟  
كانت تنسى ولكنها تتصرف - كما أتصرف أنا الآن - فتغير وتبدل كما يحلو لها ، وترتق هذا الخلل الذي نتج من النسيان بحيث لا يشعر به أحد . وقد عرفت هذا ، حين سمعت حكاية من أمي تقصها لبعض النسوة ، كنت قد سمعتها منها من قبل . لقد نسيت بعضاً منها ، فرأيته ترتق هذا النسيان ببعض العبارات والأفكار الجميلة . ولما سألتها عن الأمر ، قالت : يجب على الواحدة منا أن تتصرف إذا ما وقعت في خطأ ، فالموقف موقف تسليه ويجب أن تسير الجلسة في اتساق تام حتى لا يمل الجالسون .
- من حدثك أيضاً غير من سبق ذكرهم ؟  
أم جاسم .
- من أي بلد هي ؟  
من الدوحة .
- هل كانت محدثة لبقة كوالدتك ؟  
نعم ، ولكنها أقل قليلاً . فقد كانت تقع في خطأ وتحاول أن ترتقه إلا أنه يظهر في بعض الأوقات . وختمت حديثي معها قائلاً : بارك الله فيك يا أم لولوة ، وحيّاك الله على هذا الحديث الزين ، حناً أتعبناك وايد .
- فردت عليّ قائلة : لا ما في تعب ، تعبك راحة . أنت صديق ابنتنا وواجب علينا أن نكرمك ونعطيك ما تبغي أن تأخذه .
- أما عن اللقاء الذي دار بيني وبين الراوي صالح بن سلطان الكواري فكان كالتالي :
- يا مطوع<sup>(١)</sup> ، سلمك الله ، من متى اهتممت بالسؤالف ؟  
من كان عمري عشرين عاماً ، اهتممت بالشعر وكذلك بقص السؤالف .
- هل يعني هذا انك شاعر ؟  
نعم ، ولي شعر كثير .
- ما دمت شاعراً فلماذا اهتممت بالقص ؟

(١) مطوع : عالم الدين .

لأنني أجد شخصيتي فيه .

- كيف تصنع يا مطوع إذا ما نسيت شيئاً من الحكاية هل تتركها أو تتصرف بها ؟  
بالطبع أتصرف بها ، فأزيد وأنقص حتى تعتدل ( تصح ) .

- متى تتصرف في الحكاية ؟

أنصرف في الحكاية بحسب الجلسة ، فإن كانت الجلسة قد عقدت خصيصاً للقص ،  
والمستمعون قد جاءوا لهذا الغرض ، أطيل في الحكاية وأزيد وأنقص حتى يرضى السامعون ، وإن  
كانت الحكاية تذكّر إنساناً بعينه ويجلس معنا أو مكاناً لا أريد ذكره لأي سبب . أغير في أسماء بعض  
الأماكن والشخصيات حتى تصبح عامة ولا تؤذي الجالس . أما إذا كانت الجلسة لا تسمح بالإطالة أوجز  
الحكاية دون أن يذهب هذا الإيجاز جوهرها حتى ينشرح بها الجالسون وكأن شيئاً لم يحذف منها .

- ممن أخذت هذه الحكايات ؟

من والدي سلطان ، ومن بعض الشّباب ( كبار السن ) الذين ماتوا ، وكذلك من والدتي .

- من الذي غرس فيك هذا الأسلوب في اللبقة والتصرف في الحكاية ؟  
والدي الله يرحمه .

- هل تذكر لي حكاية نُزجي بها الوقت الآن ؟

بكل سرور . غير أننا فوجئنا بمجيء ضيوف له ، فأعذرني ووعدني بقاء آخر فشكرته وانصرفت .  
مثل هؤلاء الناس ، الذين يتصرفون في المواقف فيطيلون ويوجزون ويزيدون وينقصون بحسب  
مقتضيات الجلسة ، يمكن أن نعتبرهم من النوع المبدع المتصرف .

أما النوع الآخر من الرواة ، فهو من النوع المحافظ على النص محافظة تامة ، فلا يتصرف ، ولا  
يسمح لنفسه أن يضيف أو يحذف شيئاً ، بل يذكره كما هو دون زيادة أو نقصان .

ولقد اجتمعت بهذا النوع من الرواة في الخور بتاريخ ١٩٧٥/٢/٣م مع الراوي عبد الله بن سعد  
المهندي<sup>(١)</sup> . وأخذت أتدرج معه في الحديث ، فذكر لي شعراً وحكماً ومواويل ثم صمت ، فبادرته  
بالكلام قائلاً :

حدثنا يا أبا محمد بما عندك من سواف ، فضحك . وقال : ما عندي سواف وايد ، السواف عند  
أهلها . فقلت : ومن أهلها يا أبا محمد ؟ قال : العجائز والشّباب . فقلت له : البركة فيك فأنت خير  
من يحدث . فقال : صحيح أنا أحفظ بعض الحكايات وسأقولها كما سمعتها . فقلت له : هذا الذي  
أبغيه - وقر في ذهني أنه من النوع المحافظ - وبدأ يحكي حكاية السّاحر الذي يحقق الرغبات .  
فقال : « كان ذاك الشخص يذهب مع جماعته للغوص والصيد في البحر كل سنة ، ويمضي من ستة  
إلى سبعة شهور هناك ، وكانت هذه حياته .

(١) عبد الله بن سعد المهدي الملقب بالشاعر - ٦٠ سنة .

وفي يوم من الأيام اصطاد البّحار سمكة كبيرة جداً وضعها بقربه على السفينة ، وتمنى البّحار أن تكون هذه السمكة عند أهله الفقراء . وبينما هو جالس في الليل يفكر ، خرج له رجل من البحر وقال له : أنا أوصلها لهم ان شئت . فقال الصياد ، كيف ؟ فردّ عليه الرجل ، بأنها شغلة بسيطة ولتأكد من ذلك اسأل أهلك عند رجوعك عن سمكة كبيرة وصلتهم في اليوم الفلاني من سنة كذا وهم سيجيبونك ، فوافق الرجل ، وعند رجوعه سالماً من الصيد ، سأل أهله : هل جاءتكم سمكة في يوم كذا ، سنة كذا ؟ فقالوا : نعم ، فتعجب الرجل ، لكنه لم يبح بالسّر . وفي السنة التالية ذهب إلى البحر وأمضى مدة طويلة لم يرفيها أهله ، فقام في إحدى الليالي وانزوى في ركن المركب وأخذ يفكر فيهم ، وبينما هو غارق في التفكير خرج له الرجل مرة ثانية ، وقال : أنا أستطيع ذلك . فقال له الصياد : كيف ؟! فردّ عليه الرجل : أحملك على كتفي وأعبر بك هذا البحر ، فترى أهلك ولكنهم لن يروك وإذا تكلمت معهم سوف يبطل مفعول السحر وتبقى عند أهلك . فوافق الرجل وحمله على كتفه وطاربه عابراً البحر . وفي أثناء عبورهم البحر حذّره من السقوط وإلا سيموت حتماً . ووصلا سالمين فرأى أهله واطمأن عليهم ورأى حالهم ورأى أصدقاءه لكنه لم يكلمهم خوفاً من بطلان السحر .

ثم عاد إلى المركب ثانية بعد أن قضى حاجته ، لكنه في الطريق والظلام يلفّ البحر ، خرجت له سمكة كادت أن تسقطه في البحر نتيجة خوفه ، غير أنه ثبت وقوى عزيمته إلى أن وصل إلى المركب - كما ذكرنا قبل قليل - وبعد القُفال<sup>(١)</sup> أخبر أهله بما جرى له في ذلك الحين ، فقالوا : نعم . وقصّ عليهم الحكاية وأخبرهم عن الرجل الذي كان يحقق له الرغبات التي حرّمها وهو في البحر ، وعن الرحلة والسمكة وما مرّ معه .

وبعد أن انتهى منها طلبتُ أخرى فاعتذر لموعد كان عليه ، فترك المجلس بعد أن استأذن ، ودلف<sup>(٢)</sup> إلى داخل البيت ليستعد للذهاب ثم خرج وخرجت معه على أمل اللقاء به مرة أخرى ، وفعلاً تمّ اللقاء مرّة ومرات ، وفي كل مرّة أشعر أنه يروي النص كما هو ، لا يتدخل فيه . وذات مرة حضر أخوه راشد وجلس ، وكان بصره ضعيفاً ، وكعادتي طلبت من صاحبنا أبي محمد أن يتحدث لي ببعض السّوالف<sup>(٣)</sup> ، لكن راشد تدخل وقال : سأروي لك هذه السالفّة ، وأخذ يقص ، وبينما هو مسترسل في القص ، قاطعه أبو محمد مصححاً بعض العبارات ومذكراً له ببعض الأفكار وحدثت مشادة بين الاثنين ، كل واحد يدّعي أنه أصح من غيره . ولما كانت الجلسة جلسة ودّ واستمتاع ، فقد أصلح الجالسون الأمر بين الاثنين بارضائهما ، وجعلوا الخطأ على الراوي الأصلي الذي أخذ عنه راشد وعبد الله .

(١) القُفال : انتهاء الغوص .

(٢) دلف : دخل ، وهي كلمة كثيرة الاستعمال عندهم .

(٣) السوالف : مفردا سالفّة ، وهي القصة ، وهم يستعملون هذه الكلمة كثيراً أكثر من استعمالهم لغيرها كقصة أو حكاية .

والحكاية هي « الحمار الجني »<sup>(١)</sup> وتحكي : « أنه كان رجل اسمه مجلي يشتغل بصيد السمك ، وكان بيته بعيداً عن البحر مسافة خمسة كيلومترات . وفي يوم اصطاد الرجل سمكاً كثيراً ولم يستطع حمله ، فطلب من الله أن يرزقه شيئاً يحمل عنه هذه الأسماك ولما وصل السيف<sup>(٢)</sup> ، نزل عن الشوعي<sup>(٣)</sup> ، وشل<sup>(٤)</sup> السمك على ظهره وتوكل على الله ، وبالقرب من السيف التفت فرأى حماراً ، فقال مجلي في نفسه : الحمد لله الذي حصلت حماراً أحمل عليه السمك واقترب من الحمار ووضع السمك على ظهره وركب فوقه ومشى إلى أن وصل نصف الطريق . قال الحمار : أنا أوصلتك إلى هنا أنت وسمكك ، وأنا أبغيك ترجعني إلى مكاني اللي أخذتني منه وأنا على ظهرك ، قال مجلي : أنا رجال مسكين عجوز ما أقدر أحملك يا خوي . قال له : ما في فائدة لازم توصلني إلى مكاني الأول اللي أخذتني منه ، من هذا كلمة ومن هذا كلمة وافق مجلي وتوكل على الله وشله على ظهره . لقد أخطأ مجلي لأنه لو قال : بسم الله الرحمن الرحيم لاختفى الحمار ، فهو من الجن تخشى اسم الله - وأوصله إلى مكانه عند السيف . وقال : الحين أنت استويت ريال ( رجل ) . أنا شلتك وانت شلتني ، ثم شرع مجلي في المشي وهو حامل السمك ويقول : ليتني مشيت من أول أوقلت بسم الله الرحمن الرحيم كان راح ، إلى ان وصل البيت . وفي الطريق حصل زوجته وعياله ينتظرونه ، ولما جلس ، قالت الزوجة : عسى ما شريابو حسن . قال : عساه شيء . قالت : هاه ، هاه ، إيش فيه ؟ قال : حصل معي كذا وكذا . قالت الزوجة : عيل<sup>(٥)</sup> ليش ما سميت ، كان راح عنك .

قال مجلي : نسيت . فقالت هل هذه السالفة اللي حصلت لك مع الجني أو أن هناك سواف أخرى ؟ قال اسكتي ، اسكتي ، صار معي أكثر من الجني ملعون الوالدين . وقال : جاءني عاصفة وأنا عند العالية<sup>(٦)</sup> في الطريق إلى سميسة ، وقلت بسم الله الرحمن الرحيم ، وصليت ركعتين وجلست أقرأ القرآن إلى أن ذهب هذه العاصفة وحمدت ربي على السلامة وإلا الماي ( الماء ) كان دخلت إلى الماكينة ، وقام الأولاد وأمهم يحبونه ( يقبلونه ) ويحمدون الله على نجاته . وبقيت أتردد على هذا الصديق ، وأنهل منه في غير مرة واحدة الكثير الكثير ، وكان من عادته دائماً ، قبل أن يشرع في القص أن يقول : « هكذا رويت لي » . وهذا دليل قطعي على مدى حرص الرجل في سرد الحكاية كما هي ويدون تدخل منه . ولكي أتأكد منه أكثر ، أردت في لحظة من اللحظات أن يذكر لي حكاية كان قد سردها لي من قبل ، فقال : لقد قلتها لك من قبل ، ماذا تبغي منها

(١) راشد سعد المسند - الخور - ٥٨ سنة .

(٢) السيف : شاطئ البحر .

(٣) الشوعي : نوع من أنواع المراكب .

(٤) شل : حمل .

(٥) عيل : أجل .

(٦) العالية : اسم جزيرة في قطر .

الآن ؟ فقلت له : لقد نسيتهما وأريد أن أتذكرها ، فصب لي فنجاناً من القهوة العربية ، أتبعه بآخر وثالث ، إلى أن ارتويت واكتفيت ، فهزرت فنجانني - دليل الإتياء عندهم - ثم أدار الحديث كما أداره أول مرة ، حتى الحركات التي أحدثها سابقاً ذكرها في هذه الجلسة ، فكان مثلاً يحرك يديه وعينه في بعض المواقف ، ويرفع رأسه ويخفضه في مواقع أخرى ، تماماً كما ذكرها من قبل .

كل ذلك كان يحدث في جورحب من السعادة وصب القهوة ، حين كان يعث بين الفينة والفينة بأصابعه في الفناجين ليغسلها من قدر مملوء بالماء وضع خصيصاً لهذا الغرض .

انبهرت من هذه الذاكرة القوية والأمانة في الرواية ، فكان لا يغير جملة عن موضعها ولا فكرة بفكرة ، فقلت له :

- كيف تحفظ هذا ؟

قال : احفظه كما حفظت الشعر والأمثال وغيرهما ، فهذا سهل بالنسبة لي ، نظراً لاهتمامي وحبّي له ، ومن أحب شيئاً - يا أبا خالد - دأب على معرفته جيداً وخاض في مكنوناته . وهذه الأنماط التراثية هي محبوبتي المفضلة ، وحرام عليّ أن أقصر في حفظها وخدمتها ، إذ ستحاسبني نفسي على كل تقصير يقع مني اتجاهها ، وإذا أردت المزيد ستجد ضالتك ، وما عليك الا المكوث والصبر إلى وقت متأخر من الليل . فشكرت له هذا الكرم وهذا الترحاب ، وقبل أن أترك مجلسه سألت بعض الأسئلة :-

- أنى لك هذا ؟

سمعتها من أبي سعد ، الله يرحمه .

- كم كان عمرك حين بدأت الإهتمام بهذا النمط التراثي ؟

كنت صغيراً ، لم أبلغ الخامسة عشرة من عمري .

- هل تحتفظ بهذه الحكايات التي سمعتها في هذه السن إلى الآن ؟

نعم ، فهذه الحكاية التي بين أيدينا وذكرتها قبل قليل ، حفظتها في وقت الصبا .

- أين سمعت معظم قصصك ؟

في الخور ، وفي الدوحة ، حينما كنا نجتمع ببعض الأقارب .

- هل لك أولاد يهتمون بهذا التراث ؟

نعم ، ابني الوحيد ، محمد - وكان وقتها حياً لم يمت ثم مات بحادث -

- هل لك أولاد غير محمد ؟

نعم - لي بنت واحدة ، أخت لمحمد .

- لماذا يا أبا محمد لا تحاول التصرف بالحكايات ؟

لأنها أمانة ويجب علينا المحافظة على هذه الأمانة إذ لا يحق لي أن أضيف أو انقص شيئاً من

الأمانة .

- ماذا تصنع حين تنسى شيئاً من الحكاية ؟

الحمد لله ذاكرتي قوية وتسعفني في الوقت المناسب ، وإذا نسيت شيئاً أقول هذا للجالسين في حينه ، بأنني نسيت بعض الشيء وإذا ما تذكرته أذكره لهم فيما بعد .

- ألا تعتقد أن نسيان شيء من الحكاية ثم ذكره فيما بعد يضيي على الجلسة الفتور والملل ؟  
صحيح ، ولكن مهما كانت النتائج لا يمكن أن أغير مبدئي ، فمن أراد الجلوس فأهلاً وسهلاً ومن لم يرد فعلى كيفه .

وفي لقاءات عديدة سألته عن قصص كثيرة ، منها الواقعي ومنها الخيالي ، وكان يجيب بكل صراحة ، ويسرد بكل صدق . فمما سألته بعض الأسئلة عن الجان والغول ، وهل ظهورهم حقيقة كما يدعي الناس ؟ فقال : اسمع يا أبا خالد ، الواقع ، أنا لم أر شيئاً من هذا ، ولكن بعض الأقارب والجيران ، ذكروا أنهم رأوا الجن ، وهي على أشكال عدّة ، فمرة بشكل حمار ، ومرة بشكل سمكة ، وثالثة بشكل كلب يعوي . . . . الخ .

هذا الرجل هو من النوع الثاني المحافظ الأنف الذكر . أما عن النساء ، فهن كثر ، ولكن نظراً لصعوبة لقائهن - وهي مشكلة اجتماعية تضاف إلى مشكلات جمع الأدب التي أوردها الدكتور عبد الحميد يونس<sup>(١)</sup> في مقدمته لكتاب مقدمة في الفولكلور للدكتور أحمد مرسي .

فقد استعنت ببعض الأصدقاء وكذلك زوجتي وبعض صديقاتها للقاء النساء ، وفعلاً كان لي ما أردت ، فالتقيت بعدد من النساء ، كان منه هذا اللقاء مع الراوية أم شبيب<sup>(٢)</sup> . وهي امرأة كبيرة تسكن الدوحة ، مولعة بالسوالف ترويها كما سمعتها تقريباً ، دون تغيير ولا تبديل .

وبقيت أتردد عليها كثيراً بصحبة قريب لها ، وفي كل مرة أجد عندها حشداً غفيراً من النساء يستمعن إلى أحاديثها . وبعد أن تنفض الجلسة ، تسأل من بقي هنا ؟ - لضعف نظرها - فيقول قريبها ، نعم يوجد صاحبي في الغرفة الثانية ، فان كانت قوية تقول : أحضره ، وتسألني : ماذا تبغي مني ، فأنا مستعدة للحديث ، فأقول لها : أبغي السوالف ، فتقول لي : لقد ذكرت لك بعضاً منها في الجلسة السابقة ما كفاك ؟! فأقول : نعم ، أريد المزيد ، وفعلاً تبدأ بالقص والمسجل يسجل إلى أن تفرغ من الحكاية ، أو يتسلل الضجر والتعب إليها ، عندئذ تقول : كفى هذه الليلة ، إن شاء الله في مرة أخرى ، أما ان كانت تعب من حديث النساء في هذه الليلة ، فتقول لي : ما أقدر اليوم ، تعال باكر . وهكذا أبقى أتيحين الفرص إلى أن أجلس معها ويبدأ القص ومن ثم التسجيل ، وكانت تكرر في بعض الأوقات حكاياتها دون أن تعلم أنها كررت ، بل كانت تسأل : هل قلت لك هذه قبل ذلك ؟

(١) د . عبد الحميد يونس - مقدمة لكتاب مقدمة في الفولكلور للدكتور أحمد مرسي - ص ٥ .

(٢) عايشة سعد - الدوحة - ٩٠ سنة .

فأقول : نعم . وإذا كنت أريد التكرار ، أقول : لا . وفعلاً كانت تؤدّي سرد الحكاية في المرة الثانية تماماً كما ذكرتها في المرة الأولى ، وهذا ان دل فيدل على مدى الذاكرة القوية والأمانة في سرد الحكاية كما سمعتها .

بيد أنها كانت تقوم بتغيير مخارج الصوت شدةً ولينا حسب ما يقتضيه الموقف ، أو تقف إلى جانب بطل من الأبطال ، لأنه مظلوم ، عن طريق ذكر بعض العبارات المشجعة أو المؤيدة له ، ولكن ضمن ذكر الحقيقة كما هي ، وعن طريق عرض الموقف كما سمعته دون تغيير .

لقد كانت راوية من الطراز المحافظ والمعبّر في نفس الوقت عن كل المواقف ، سواء أكانت نسائية أم رجالية ، احتاجت إلى صوت غليظ أم رفيع ، إلى حركات أم سكّات . كانت تؤدّي هذا دون تغيير شيء يذكر ، وبطريقة جميلة ملفتة للنظر .

ويمكننا القول : أنها محدّثة لبقّة تعرف كيف تسلي من حولها ، وفي نفس الوقت تعطي الحقيقة كاملة وذات يوم ، بعد أن نهلت منها الكثير ، شكرتها وسألتها هذه الأسئلة :-

- كم عمرك يا أمي ؟

عودة<sup>(١)</sup> ، يمكن التسعين ، يمكن الإمية<sup>(٢)</sup> ، لا أدري .

- من أي بلد أنت ؟

من الدوحة .

- هل لك أولاد ؟

نعم ، خمسة ذكور وثلاث إناث .

- أريد منك يا أمي أن تذكري لي أول حكاية سمعتها وما زلت تحفظونها ؟

أول حكاية هي « الزوجة الحكيمة » .

« صلّوا على النبي ، اللي يانا وياكم ، خير لفانا ولفاكم ، وشر تعدانا وتعداكم . ماياكم إلا ذا الرجال يتزوج الزوجة ، وفي اليوم الثاني يهّدها<sup>(٣)</sup> ، ويطلب منها أن تغادر البيت ، وقد فعل هذا مع الزوجة الأولى وكذلك مع الثانية . فكانت الواحدة تغادر بيتها وتعود إلى بيت أبيها ، وتزوج الثالثة ، وبعد الزواج طلب منها - كالعادة - أن تخرج وتغادر إلى بيت أبيها لأنه لا يريد لها ، وقال لها عدة مرات ولكنها تتجاهل وتعمل نفسها غير سامعة ، ولكن الزوج أصرّ على اخراجها ، فوافقت ، ولما عاد الزوج إلى بيته ، اختبأت هي في ( المرفاعة ) التي في المنزل ، فرفع الزوج رأسه فوجدها ، فأصرّ على خروجها الآن ، وقال لها : سأنام الآن ولا أريد أن أرى وجهك عندما أصبح من نومي ، ثم قال لها :

(١) عودة : كبيرة .

(٢) الإمية : مائة .

(٣) يهّدها : يتركها .

خذي ما تريد به من البيت سواء أكان غالياً أم رخيصاً ، المهم أن تخرجي من المنزل بلا عودة ولا أراك ثانية .

ولما نام الرجل ، فكّرت المرأة بحيلة ذكية ، فصاحت على الخدم وقالت لهم : خذوا هذا السرير إلى بيت والدي ، وخذوا بالكم من أن يسقط على الأرض حتى لا يصحوا سيدكم .

وفعلاً حملوه إلى بيت أهلها ، وعندما أفاق الرجل وجد نفسه في بيت أهل زوجته . فقال لها : ماذا فعلت ؟ فردت عليه وقالت لقد قلت لي : خذي كل شيء غال ، وأنا لم أجد أغلى منك وليس عندي أحسن منك ، فسرّ الرجل وأعاد زوجته معه إلى بيته ، وعاشا سعيدين وأقلع عن عادته السيئة بعد أن اكتشف الحكمة عند زوجته ، ورحنا عنهم وجينا حتى شيء ما عطونا .

لقد استطاعت هذه المرأة أن تعالج زوجها من مرضه النفسي وتردّه إلى واقعه ، بعد أن كان هائماً في الأحلام ، حين عملت هذه الحيلة البارة .

- ممن سمعت هذه الحكاية ؟

من أمي ، يرحمها الله .

- كم كان عمرك حين سمعت هذه الحكاية ؟

كنت في سن البلوغ ، لا أدري بالضبط .

- ما نوع الحكايات التي كنت ترغبين في سماعها ؟

حكايات النساء اللّي تخصّنا .

- هل لغير أمك أثر في حياتك القصصيّة ؟

نعم ، والدي فقد كنت أجلس عنده في الليل وأمي من حولي وهو يقص عليّ وعلى إخوتي .

- كم عدد إخوتك وأخواتك ؟

ثلاثة ذكور وثلاث إناث .

- هل أحبّوا القصص كما أحبّته أنت ؟

لا ، للأسف .

- لماذا لا تزيدني أو تنقصين في القصة التي تروينها ؟

هذه أمانة ، وحرام علينا أن نخون الأمانة ، بل يجب أن نذكرها كما هي .

- هل كان أبوك وأمك مثلك في سرد القصص لا يغيّران شيئاً منها ؟

نعم ، هما اللذان علّمانني الأمانة وملكة السرد .

بارك الله فيك وفي أمانتك فأنت مثال حي لأمانة المجتمع الذي تنتمي إليه ، أنا لا أريد أن أطيل

عليك الآن ، ولكنني أطمع بلقاءات أخرى معك ، فهل من مانع ؟

لا ، أنا على أتم استعداد في أيّ وقت تريده ، ثم تركتها وانصرفت .

## دور الشعب في الرواية والإبداع

« ان ذكرنا لدور الأفراد الأفاضل في حمل الحكاية ونقلها إلى الأجيال لا يلغى دور الجماعات النشطة والفعال من الشعب في هذا المجال .

فالحكاية يرويها هذا الراوي المبدع أو المحافظ ، فتسير في الناس على نحو ما أوضحنا في المجالس والتجمعات ، حيث يشيع هؤلاء السامعون ما سمعوا في مجالس واجتماعات أخرى ، ولكن لابد أن يحدث تحريف وتصحيف للأشكال التي يحملونها من الحكاية نظراً لاختلاف بني البشر في القدرة على الحفظ وفي القدرة على الأداء ، وفي ظروف الإمكانيات الذهنية والبيئات المحيطة بالرواية ، ومن ثم يحدث تغيير بوعي تتطلبه مقاصد الرواة أو المستمعين <sup>(١)</sup> . « فيرى الراوي مثلاً تغيير كلمة بدل كلمة أو جملة بدل جملة ، وقد لا يستسيغ الراوي فكرة الحرق في نهاية الحكاية فيضع بدلاً منها القتل أو غير ذلك ، ثم تخطو الحكاية خطوة ثالثة في مستمعين جدد ، وقد بان عليها أثر الزمن تحريفاً وتغييراً حتى اتخذت شكلاً محوّراً عن شكلها الأول ، وأصبحت بالشكل الجديد ترضي مسامع الجمهور وتحقق أحلامهم في بيئتهم الجديدة الثقافية والاجتماعية ، بحيث تبدو كأن كل واحد من الشعب قد اشترك في تأليف أشكالها الجديدة » <sup>(٢)</sup> .

وخير الكلام ما أتبع بمثال . فقد روت لي الحاجة هيا رشيد <sup>(٣)</sup> حكاية البرمة ، مرة باسم البرمة ، ومرة ثانية باسم البنت العجيبة ، وسمعتها مرة ثالثة باسم البريمة .

وتحكي قصة الحاجة هيا رشيد الأولى فتقول : « غصّة فضة لي مشى على خدها البرغوت قضه ، تهيل وتميل وتجعل القلب غاشيا ودليل ، والي يحب النبي يصلي عليه . كان في ها لمرأة ما انجبت عيال ، وأخذت تطلب من الله أن يرزقها بنت حتى لو كانت بُرمة <sup>(٤)</sup> حملت المرأة وجابت بنتاً بُرمة ، وقامت تصيح وتقول : ياربى إش أسوي في هذه ، قامت البنت البرمة كلمت أمها ، قالت لها : يائمه غسّليني وحطّيني عند الباب ، وبغنيك . فقامت الأم لتوها وغسلتها وحطتها عند باب بيتهم ، بالقرب من السوق ، وصدفة مرّ رجل جاي ( آت ) من السوق وشايل معه خرايط فيها أغراض وحاجات عازم رجال على الغداء ولما رأى البرمة معطوبة عند الباب ، قال : هذه زينة آخذها وأطبخ فيها الغداء ، فأخذها معه وطبخ فيها الغداء ، ولما جاء وقت الظهر قال باروح أصلي ولين (الى ان) يجي « يأتي » صديقي يتغدى معه ، ولما رآته البرمة قد خرج من البيت ، رايح ( ذاهب ) صوب المسجد ، أخذت نفسها مع الأكل اللي فيها وعادت الى بيتها وهي تردد الأنشودة :

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م ص ٥٤ .

(٢) د. محمد محمود الجوهري - مجلة عالم الفكر الكويتية - العدد الأول المجلد الثالث - ص ١٢٥ .

(٣) هيا رشيد - الدوحة - ٦٠ سنة .

(٤) بُرمة : وعاء صغير من الفخار .

دَرَبَكَ ، دَرَبَكَ ، الى بيت أمي ، وأحط الخير في حضن أمي ، وبقيت تردد هذا الكلام إلين ان وصلت البيت ، وطرقت الباب وهي تقول حق أمها : ياماه ، افتحي لي ، جبت لك الخير ، ، ففتحت الأم لها الباب ، وتغذت مع أمها بالغداء الزين . وفي اليوم الثاني طلبت من أمها ان تغسلها وتحطها عند الباب ، فغسلتها وحطتها عند الباب .

وفجاء مربنات من الحي ، يبغين السباحة في النهر ، بعيدا عن الحي ، وكن لابسات ذهبا وايد ( كثير ) فلما رأين البرمة ، وضعن فيها كل ذهبهن . وفي غفلة منهن في أثناء سباحتهن وانبساطهن ، أخذت البرمة نفسها ورجعت أدراجها الى البيت وهي تردد : دربك ، دربك لي بيت أمي ، واحط الخير في حضن أمي . ولما وصلت البيت طقت (قرعت) الباب وهي تقول افتحي ياماه ، جبت لك الخير . وفتحت أمها الباب ، ما صدقت عينيها ، لما شافت الذهب ثم أخذته منها ، وغسلت البرمة مرة أخرى وحطتها عند الباب ، وصارت كل يوم تحضر لها شيء إلين استغنت الأم ، وحمدت ربها على هذا الخير ، ورحنا عنهم ، وجينا حتى حاجة ما عطونا .

أما الرواية الثانية ، بعنوان « البنت العجيبة » تقول : « صلوا على النبي ، كان الله يسلمك واحدة امرأة لا تحمل ولا تنجب أولاد وتبكي ليل نهار تدعورها أن يرزقها طفلاً أو طفلة . ومَرّت مدة ولم يتحقق أملها . وفي حالة يأس كانت تصلي وتقول : يارب تعطيني بنتاً مثل البرمة وما أقول شيئاً . وشاء الله وحقق أملها وحملت المرأة ، وبعد تسعة أشهر حان موعد الوضع فولدت برمة صغيرة ، وأخذت تعتني بها وتطعمها حتى كبرت البرمة وأخذت تتكلم ولاحظت أن أمها دائمة الحزن ، فسألها عن السبب . فأجابتها : إن الناس يرزقهم الله بنين وبنات ينفعونهم في حياتهم ، أما أنا فيرزقني الله بك ولم تنفعيني بشيء ، فحز هذا الكلام في نفس البرمة وقررت أن تعمل شيئاً حتى تنفع أمها ، فأصبحت كل يوم تخرج في الصباح وتعود في المساء محملة بالذهب والمجوهرات والمال ، وعندما تصل عتبة المنزل تقول :

دَرَبَكَ ، دربك ، إلى بيت أمي ، وأكت الخير في كم<sup>(١)</sup> أمي .

واستمرت على هذا الحال لأيام عديدة ، وفرحت أمها وأصبحت غنية تشكر ربها لأن بنتها البرمة نفعنها أكثر من الولد أو الزوج ( ولم تعرف الأم أنها تسرقه ، بل تعتقد أنها تشتغل وتحضره ) .

وفي يوم من الأيام طلبت الأم من البرمة أن تكف عن العمل لأنهم أصبحوا أغنياء ، وفي غنى عن أي شيء ، ولكن البرمة قررت أن تخرج هذه المرة ولأخر مرة . وفي المساء رجعت كالعادة وأخذت تغني : دربك ، دربك ، إلى بيت أمي ، واكت الخير في كم أمي . فتحت الأم ثيابها حتى تضع البرمة الخير فاندعشت الأم كثيراً عندما وجدت أنها تحضر العضو التناسلي للرجل ، فصرخت الأم وقامت توبخ ابنتها وتقول لها : من أين أحضرت هذا الشيء ؟ فردت عليها البرمة ، لم أجد شيئاً من المال فوجدت

---

(١) كان أهل المنطقة في السابق يلبسون البسة واسعة بأكمام واسعة .

هذا الرجل ، وقطعت جهازه لأنه كان نائماً ولم يكن معه أموال ، وأخذت الأم في ثورة الغضب وحملت البرمة ورمتها من أعلى حتى انكسرت وتحطمت ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ما عطونا .

وأخيراً ، أثبت النص الذي حصلت عليه من السيد ( يوسف عبد الله أحمد )<sup>(١)</sup> بعنوان ( البريمة ) حيث يقول : « صلوا على النبي ، كان في هالمرأة ما تحمل ، طلبت من الله أن يعطيها ولو بريمة . واستجاب الله لدعائها وأعطاهها برمة جميلة منقشة ومزينة . وفي يوم جاءت امرأة تزور أم البرمة ، وقالت لها ، هذه البرمة زينة للمرق . فقالت لها الأم ، خذوها مالي حاجة بها ، وأخذت المرأة البرمة ووضعت فيها المرق ، ولكن البرمة هربت بالمرق اللي فيها وعادت إلى بيت والدتها وهي تردد : دربي ، دربي ، لي بيت أمي ، واحط الخير في حضن أمي . وفتحت الأم لها الباب وأخذت المرق ، ثم عادت البرمة إلى مكانها ثانية ، ولما جاءت المرأة لتشرب المرق لم تجد في البرمة شيئاً فأرجعتها إلى أمها .

وجاءت امرأة أخرى وطلبت البرمة من والدتها لتعمل فيها مكبوساً<sup>(٢)</sup> فأخذتها معها ، وعملت فيها المكبوس ، لكن البرمة هربت مرة أخرى إلى بيت والدتها وهي تقول : دربي ، دربي ، لي بيت أمي ، وأحط الخير في حضن أمي . وبعد أن أفرغتها الأم عادت إلى مكانها وكأن شيئاً لم يحدث ، ولما حان وقت الغداء ، أرادت المرأة أن تأكل ما في البرمة ، وجدت الدار قفراء والمزار بعيد<sup>(٣)</sup> . أي لم تجد شيئاً . وهكذا أرجعتها الثانية إلى والدتها . وذات يوم جاءت إلى أم البريمة زوجة الشيخ ، وشافت البريمة وأعجبتها ، فأخذتها لتضع فيها الذهب الذي تلبسه دوماً ، وفعلاً وضعته فيها ، بيد أن البريمة عملت كما عملت في السابق . هربت بالذهب ورددت ما رددته في السابق ، وأعطتها لأمها وعادت دون أن يشعر بها أحد إلى مكانها ، مما جعل الشبيخة تتهم الخادمة بسرقة ذهبها ، إلا أنهم لم يأنسوا بالبرمة فأرجعوها إلى أمها .

وفي الصيف ذهبت البريمة إلى البحر وشافت ( رأت ) رجلاً جالساً يتبول ، فتسللت إليه وسرقت جهازه التناسلي ، وذهبت به إلى والدتها ، وقالت ما قالته في السابق : دربي ، دربي ، . . . . . الخ . ووضعت في حضن أمها فغضبت الأم لعملتها هذه . فقامت الأم وكسرتها ، فماتت البريمة ، وهكذا جنت البريمة على نفسها بسرقتها الأخيرة التي تعدت فيها المحذور إلى غيره .

نلاحظ هنا أن تسلسل الروايات كان متسقاً مع بعضه وإن اختلفت الوسائل ، كما أن الغاية والنهاية واحدة من الروايات فقد وضعت البرمة الخير في الرواية الأولى والثالثة في حضن أمها ، على حين وضعت في الرواية الثانية في كمها .

(١) يوسف عبد الله أحمد - الدوحة - موظف - ٢٨ سنة .

(٢) مكبوس : نوع من أنواع الطعام في قطر .

(٣) الدار قفراً ، والمزار بعيد : عبارة يستعملها أهل المنطقة كثيراً بمعنى لا شيء موجود (خالية) .

وفي الرواية الثانية والثالثة ، انتظرت الأم الخير يتساقط في حجرها أو كمها من البرمة ، غير أنها أحضرت شيئاً لم يكن في الحسبان ، أحضرت في هذه المرة العضو التناسلي للرجل ، مما جعل الأم تصرخ في وجهها وتوبخ ابنتها وهي تقول لها : من أين أحضرت هذا الشيء ؟ فردت البرمة عليها ، لم أجد شيئاً من المال ووجدت رجلاً نائماً لا يملك شيئاً ، فقطعت جهازه هذا وأحضرتة معي . ويرى الباحث أن وضع المال في الحجر جائز ، ووضعه في الكم جائز إذا ما أخذنا بالاعتبار سعة لباس النساء في السابق ، وخاصة عند الأكمام فقد كانت عريضة ويمكن وضع المال فيها .

أما إحضار جهاز الذكر في المرة الأخيرة ، فأرى أنه لا يتنافى مع رغبة الأنثى . فالأنثى مهما طال عليها الإنتظار ومهما كانت الأسباب ، فمآلها إلى الزواج ، وهذا يفسر رغبة البرمة حين أحضرت في المرة الأخيرة هذا الجهاز . بأنه قد آن الأوان بعد أن عبّت الأم من المادة ، أن تلتفت إلى ابنتها التي تكابد شوق اللقاء بالذكر ، وتزوّجها . ولكنها لم تفعل ، بل حطمتها إلى الأبد . وهكذا نرى أن هذه الحكاية قد رويت بأشكال عديدة ، يجعلنا نظن أن الشعب كله قد اشترك في تأليف أشكالها الجديدة .

وهناك حكاية « الفرس المتكلمة » التي رويت لي بأسماء مختلفة ، فقد وردت باسم « الفرس المتكلمة » وكذلك « المهر المتكلمة » والبنورة السحرية « ومرة ثالثة باسم « الخيل المتكلمة » . وقد أثبتت هذه النصوص جميعاً في الملحق العام للرسالة .

فمثلاً ، نجد في حكاية « الخيل المتكلمة » وحكاية « الفرس المتكلمة » أن الفرس أعطت للبطل بعض الشعرات لكي يستخدمها وقت الضيق فتحضر إليه الفرس وتنقذه مما هو فيه ، بينما أعطت « المهر المتكلمة » لبطلها في حكاية « المهر المتكلمة والبنورة السحرية » أعطته بنورة سحرية ، يفركها حين يريد أن يفتأه الفرس لإخراجه من مأزق وقع فيه .

بيد أن أثر البيئات القطرية ؛ الريف والبادية والحاضرة ، نجدها في أمثلة أخرى ، ففي حكاية « ثوب الريش » . زوّجوا مبارك من الفتاة وعملوا لها كل شيء تحتاجه من دق الطبول والعرضة وجميع مراسيم الزواج في المجتمع القطري . إن دق الطبول والعرضة أو الرزيف ، والدّزة وما إلى ذلك من أمور ، هي طقوس مستعملة في جميع البيئات القطرية ، الحاضرة والبادية والريف .

وفي حكاية « ناصر ومنصور » نجد أثراً حضرياً . وهو لعب الملاكمة : فقد جاء في الحكاية : « واقتربوا أن يلعب منصور ملاكمة مع بنت السلطان . وعندما يتعب ، تضربه ضربة قوية في كبده ، فتنفذ الكبدة من بطنه ، وتدخل في فم البنت ، ويعثوا حق الولد ، وجاءهم ولعب ملاكمة مع بنت السلطان ، وفي آخر اللعب قفزت الكبدة من منصور إلى فم بنت السلطان » .

وفي حكاية « فليحان وأخته قماشة » استعملوا البلاليط ( المكرونة ) كأثر حضري متقدم غير موجود في الريف والبادية .

والحكايات الثلاثة مثبتة بكاملها في الملحق العام .

هذه هي بصمات البيئة على الحكاية « عبر الزمن » ، وهذه هي آثار الذاكرة الشعبية الجماعية والقوى الإبداعية في الشعب ، والتي تظل مجهولة ولكنها كالروافد التي تصب في نهر الحكاية العظيم ، الذي يُفضي إلى بحر الثقافة البشرية ، فيسهم في دراستها في القديم والحديث .

« فالذاكرة الشعبية الجماعية متمثلة في الرواة ، هي التي حفظت لنا هذا التراث المتواتر منذ الطفولة البشرية الأولى وسارت إلى أن وصلتنا عبر الأجيال على نحو من التحريف والتغيير يتناسب مع طبيعة البشر وظروفه وبيئاته .

وهي أيضاً أي الذاكرة الشعبية ، التي أسهمت في الكشف عن الكثير من تراث البشرية ، التاريخي أو الحضري »<sup>(١)</sup>.

إن الذاكرة الشعبية - كما لمسها الباحث ، حين واصل جمع القصص الشعبي القطري من أفواه الناس ، ومن قبله الأغنية الشعبية في قطر - أما أن تكون قوية ومبدعة أو تكون محافظة . وفي الذاكرة الشعبية تتكامل عقول أجيال تواترت على مر الزمن واختلاف الأمكنة .

ومما يلفت النظر في مجتمع القص بين القطريين استخدام الحكاية لمختلف الوظائف التي يمكن أن تقوم بها في حياتهم الاجتماعية ، فقد تكون محور الحديث بين الرجال ، وقد تكون الإطار الأخلاقي التربوي الذي يريد الآباء أن يربوا عليه الأبناء .

ففي مجتمعات الرجال ، نجد أن رجلاً يفتح الحديث بموضوع ويسند حديثه بحكاية سمعها قديماً أو حديثاً . وقد تكون الحكاية شعبية تتحدث عن الأحداث اليومية الواقعية ، وقد تكون ذات طابع خرافي بجذور قديمة . لا يهم النوع بقدر ما يهم الاستشهاد على موضوع الحديث وبعد أن ينتهي من حديثه يتناول الحديث رجل آخر ويروي حكاية أخرى قد تكون قريبة من الأولى أو بعيدة ولكنها تدور حول الموضوع نفسه .

وقد يسعف الحظ أكثر إذا روى رجل ثالث حكاية ثالثة من هذا القبيل . كل هذا كان يحدث في المجالس التي يجتمع فيها الرجال .

وقد سمع الباحث بعض هذه الحكايات في مجلس « خليفة السيد »<sup>(٢)</sup> حين حدثنا خليفة فقال : « صلوا على النبي ، لقد حدث لي عند المقبرة اللي ( التي ) بفريج السلطنة القديم زمان أول لما كان والذي في البراحة »<sup>(٣)</sup> وأمي شرق . وكان لا يوجد عندنا طريق غير الطريق الوسطي ، وزمان أول كنا نلعب بالدراجات وتسمى « خيل إبليس » وكان الشارع الوسطي طريقاً للعبيد ( الزقزقية ) واللي يسهرون

(١) شوقي عبد الحميد - الفولكلور والأساطير العربية - دار ابن خلدون - بيروت سنة ١٩٧٨م - ص ٧ .

(٢) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٣) البراحة : الساحة . ومقصود بها براحة الجفيري .

يمشون في هذا الطريق وأنا أمشي في هذا الطريق كنت أسمع قواطي<sup>(١)</sup> وحجارة تنقط عليّ ( ترمى ) ولكني لا أرى أحداً من بسم الله الرحمن الرحيم ( الجن ) . وأسرع بالسَّيكل ( الدراجة ) . ومع أن أبي كان يحذرني من الذهاب في ذلك الطريق لوحدي ، إلا أنني كنت أذهب ولا أستمع لما يقول فأمر على المرقاب<sup>(٢)</sup> وأنا ذاهب إلى بيتي .

وحدث آخر<sup>(٣)</sup> ، «بأن بعض الناس كان يختبئ في المقابر أو وراء حجر ، ليقوم بإخراج أصوات معينة أو الرمي بالحجارة ، فينخلع لها قلب هذا السائر في الطريق أو ذاك .

وحدث ثالث<sup>(٤)</sup> فقال • «كان الجان يضرب بالحجارة ويتغير إلى أشكال عديدة ، فمرة على شكل خروف ومرة على شكل امرأة وثالثة على شكل رجل مكفّن .

وتسير الجلسة على هذا النمط ، رجل يحدث ، يتبعه آخرون ثالث حول موضوع معين إلى أن تنفض الجلسة .

أما مجالس النساء ، فتتركز في ثلاثة مجالس الأول ، بعد العشاء يقصصن فيه الحزاوي على الصغار من الأبناء والبنات ، والثاني عند الضحى ويطلق عليه مجلس الضحى . والثالث عند العصر ، ويطلق عليه مجلس العصر .

وفي هذه المجالس - كما مرّ معنا - تتحدث النساء بمختلف المواضيع فإذا ما ذكرت واحدة حكاية ، تتبعها بأخرى ، وثالثة ، ورابعة . . . إلخ .

وجميع هذه الحكايات تدور حول موضوع واحد ، سواء أكان خرافياً أم واقعياً حدث لهن . ومما تستخدم الحكاية فيه أيضاً ، التركيز على القيم الاجتماعية وتكريسها ، ومن الحكايات التي سمعها الباحث وأثبتها البحث حكاية « النعامة المسروقة » التي أثبت فيها الولد ، أن الإنسان يجب ألا يأمن للمرأة أو الشرطي أو السلطان .

وكذلك الحكاية التي أوردها « محمد علي عبد الله الجفيري<sup>(٥)</sup> حين أثبت الوالد لولده أن الصديق هوفي وقت الضيق ، وبين له عدم التزام جماعته . حين دعاهم لمهمة صعبة ، والتزام جماعة والده حين دعاهم لدفن قتيل ادّعى قتله ، وكان هذا القتل هو عبارة عن خروف محشي بالأرز ليأكلوا منه ، لكنهم أتوا للمساعدة وليس للأكل . وهكذا أثبت الوالد عملياً أن الصديق هوفي وقت الضيق وليس في وقت السّعة .

---

(١) قواطي : مفردا قوطي وهي العلبة وما شاكلها .

(٢) المرقاب : حي أو فريق من أحياء الدوحة .

(٣) ناصر سعد - الدوحة - ٤٥ سنة .

(٤) موسى عبد الرحمن موسى - الدوحة - موظف - ٣٢ سنة .

(٥) محمد علي عبد الله الجفيري - الدوحة - براءة الجفيري - ٥٠ سنة .

وحكاية ثالثة رواها خليفة السيد ، « لقد بينت الأم لابنها أن الصديق هو الذي يضحى من أجل صديقه ، فقد اختبر الولد صديقه الأول حين تركه لأمر ما ادّعاه هو ، فلم ينتظره حتى يعود ليأكلا معا ، بل أكل الأكل ولم يبق له شيئا .

وجرب الصديق الثاني ، فانتظره هذا الصديق إلى أن عاد وأكلا الأكل معا ، وبذلك أثبت أنه صديق حقا .

هذا وسنثبت الحكايتين في الملحق العام .

أما استخدام هذا الرجل أوزال لمثل هذه الحكايات فهو لترسيخ القيم الخلقية في ذهن الابن التي أتته من تجارب الحياة ويريد من ابنه أن يحملها عنه .

« ولتربية الصغار وتهذيبهم ، فإن عنصر الالتزام والتوجيه محدود فيما يحكيه الكبار لصغارهم ، لأنهم يحكون لهم كل ما في أذهانهم . وتكاد المدارس وكتب الأطفال وحكاياتهم لا تظهر في هذا الصدد بشكل واضح .

ومن خلال ماعرضنا له في الفصلين السابقين ، رأينا كيف تنتقل الحكاية من الدائرة الكبيرة إلى الدائرة الأصغر - أي بعبارة أكثر وضوحا - من الكبار إلى الصغار ، وكيف يحاول الصغير محاكاة الكبير في كل الأمور ، في الحكاية وغيرها . فينقل حركات يديه وفمه وربما طريقة جلسته وحديثه ومن ثم ينقله إلى أصدقائه الصغار ، ويحدث هذا نفسه مع أترابه . وهكذا نجد أن نهر الحكايات ينحدر من أعلى إلى أسفل ، ثم ينداح في الأسفل إلى دوائر صغيرة وروافد ترفده من كل مكان .

ونجد أن أحب شيء للأطفال في القصة هي الحكايات التي تتحدث عن الغول والجان والقوى الخارقة ، وهي أشكال تتناسب مع خيال الطفل النامي <sup>(١)</sup> .

« ومن المعروف أن الطفل في سن الرابعة أو الخامسة يحب الإستماع إلى نمط قصصي بعينه ، بل أنه يلح على من يرعاه أن يحكي له حكاية معينة تكون قد رافقه من قبل ، إذ في هذه السن يغلب إحساس الطفل على فكره ، ومن ثم فإنه يحس بما يدور في هذا النمط القصصي من أحداث ويتحرك معه نفسيا وأن لم يفكر في منطق الحكاية . في هذا يلتقي عالم الطفل وعالم الحكاية الخرافية . فكلاهما يتحرك في عالم الإحساس لافي عالم المنطق ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن عالم الطفل حيوي نشيط ، إذ فيه تتحرك الدوافع الداخلية في نشاط بالغ نحو تأكيد وجوده ونمو شخصيته ، فإذا شعر الطفل بالمعوقات التي تفرضها عليه طبيعته والبيئة التي يعيش فيها نزع إلى تجسيد هذه المعوقات من ناحية بقدر ما ينزع إلى تجسيد طموحه من ناحية أخرى . فإذا استمع إلى الحكايات الخرافية شعر بأن عالمه يتحقق فيها تماما ، فإذا به يسعد بالطفل الصغير الطيب ، ويتحفر لظهور القوة الشريرة له ثم يسعد أخيرا بانتصاره واعتراف المجتمع به ، ولهذا فإن الحكاية الخرافية الشعبية تعد وسيلة ناجعة في تربية الطفل .

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - سنة ١٩٧٢ م .

ونقصد بالشعبية تلك التي تنمو وتعيش بدافع اللا شعور الجمعي «<sup>(١)</sup> .

إذن فالحكاية تنتقل من الجدة والجد أو الأم والأب إلى الأبناء والبنات ، ومن ثم - كما رأينا من قبل - إلى الأحفاد ، في حالة اتساع الدائرة . وقد لمست هذا بنفسني حين استمعت إلى حكاية « أم حمار »<sup>(٢)</sup> . من ثلاثة أجيال ، الجد والإبن والحفيد . وكل واحد ينقلها بأسلوبه ووسائل عيشه التي عاشها . وتحكي الحكاية فتقول :

« جاءت أم حمار إلى امرأة وطلبت منها الذهاب معها لإحضار الماء ، ولما ذهبتا ، اكتشفت المرأة رجلها ، فخافت منها واحتالت عليها ، إلى أن عادت إلى بيتها وأغلقت الباب بالحجر - وتروي حكاية الجدة أنها عادت مسرعة على ظهر دابتها وشبت الكرهب<sup>(٣)</sup> وجلست تستعيد أنفاسها من هول ما أصابها . أما رواية الإبن والحفيد<sup>(٤)</sup> ، فقد ذكرنا أنهما عادا مسرعين بسيارتهم وشبا الكهرب وأغلقا الباب وراءهما - ولما اكتشفت أم حمار حيلة المرأة لحقت بها ودقت عليها الباب فلم تفتح لها ، فصعدت أم حمار إلى أعلى البيت وبالت عليها وعليهما في الروايات الثلاث وانصرفت وهي محنقة » . وأم حمار جنية بنصفين مختلفين عن بعضهما بعضاً ، فنصفها الأعلى يشبه المرأة ، حيث أن لها يدين كالمرأة . ونصفها الأسفل وخصوصاً الأرجل تشبه أرجل الحمار ، فلها حوافر وبعضهم يقول في روايات أخرى لها رجل كرجل الحمار أي بحافر ورجل كالمحش أو المنجل الذي يستخدم في قطع العشب . وبعضهم يقول : لها وجه كالخمار وتلبس لباس امرأة كما في هذه الرواية<sup>(٥)</sup> التي سنوردها ، حيث تقول : « كنت أنا وصديقي<sup>(٦)</sup> عائدين من دخان<sup>(٧)</sup> إلى الدوحة بسيارة بيك آب . وفي الطريق استوقفتنا امرأة وطلبت منا أن نأخذها معنا إلى الدوحة ، فقال صديقي لها : أطلعي في ظهر السيارة . وفعلا ركبت وكانت تلبس لباس امرأة ، وفي يديها ذهب كثير ، ثم سارت السيارة ، وفي الطريق نظر إليها صديقي فرأى وجهها وجه حمار<sup>(٨)</sup> . فقال لي : حنا<sup>(٩)</sup> مش ركبنا حرمة . فقلت له : نعم . فقال : عيل طالع شوف شنهني هذه ؟! ولما نظرت وجدت وجه حمار ، وكنت مازلت أحتفظ بقليل من الشجاعة ففتحت المسجل على القرآن ، ثم نظرت إلى الخلف فوجدتها قد اختفت على الفور بعد قراءة القرآن ، فعرفنا أنها أم حمار ، وتابعنا سيرنا إلى أن وصلنا إلى بيتنا وقصصنا الحكاية على أهلنا ، فأجمعوا على أنها أم حمار وحمدوا الله على سلامتنا » .

(١) د. نبيلة إبراهيم - البطولة في القصص الشعبية - مجلة التراث الشعبي - بغداد ١٩٧٩م - العدد التاسع - السنة العاشرة - ص ٢٢٤ .

(٢) هذه الحكاية سمعتها في الخور وفي الدوحة ١٩٧٠م ، ١٩٧٩م .

(٣) شبت الكرهب : اشعلت الضوء .

(٤) كان البطل فيها رجلين .

(٥) أحمد عبد الله الدرويش - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٦) يوسف جابر مراد .

(٧) تعشيا في دخان عند ادريس سلمان السليطي .

(٨) بعض الروايات قالت وجه كلب ، وبعضها قال وجه حمار .

(٩) حنا : نحن .

وتظهر أم حمار في العادة في الطرقات البعيدة والأماكن الخربة المهجورة ، فتظهر مثلاً في طريق الشمال أو طريق دخان أو طريق الوكرة ، وهذا ما أجمعت عليه الروايات العديدة التي حصلت عليها . لقد تحدثت الجدة ، وفي حديثها ذكر لوسائل النقل عندهم آنذاك وهي الحمير والجمال ، على حين بادرنّا الإبن بأنه استخدم السيارة وحصل الجمال والحمير ، وقد اختلفت وسيلة النقل عند الحفيد حين روى حكايته على أساس أن الوسيلة في الهروب كانت السيارة . لقد استعمل الجد والإبن الألفاظ البسيطة والعامة ، في حين استعمل الحفيد الألفاظ الفصحى في تعبيراته ، فيذكر الجد مثلاً كلمة كَرْهَبٌ<sup>(١)</sup> (النور) المستعمل عندهم آنذاك وهو السراج والأدوات البدائية البسيطة ، إلا أن الابن والحفيد يذكرها الكهرباء وهي وسيلة العصر في الاضاءة ، وهي مرحلة متقدمة عما قبلها .

كما ونلاحظ أثر البيئة في الأدوات ، ففي الروايات الأولى الثلاث نجد أنها نبعت من المجتمع الريفي حين ذكروا أن رجلها تشبه المحش ( المنجل ) وهي أداة ريفية . بيد أنهم في الرواية الأخيرة استعملوا وسائل العصر الحديث من بيك آب ومسجل وغيره .

وتنتقل الحكايات من طبقة أعلى إلى طبقة أسفل وبالعكس ، فقد يتفق أن تشيع بين الطبقات العليا الراقية المثقفة بعض الحكايات ثم تشيع بين الناس عن طريق التدوين والتداول ، وبهذا تنزل من عليائها ويرجها العاجي لدى هذه الطبقات إلى سفح الكيان الاجتماعي كما يقول « الدكتور عبد الحميد يونس »<sup>(٢)</sup> . على حين يسميه « هانزنا ومان »<sup>(٣)</sup> التراث الثقافي النازل .

وأغلب الظن أن ذلك يتم مرة بطريق طبيعي لا كلفة فيه ولا قصد ، ومرة يتج عن قصد وعمد ، على نحو ما يقوم به علماء الدين والمدرسون ورجال التربية فيما يضعونه في الكتب من أقاصيص هادفة تعليمية .

إذن فقد انتقلت الرواية من أعلى إلى أسفل ، من الطبقة العليا إلى أسفل . « ورغم أن هذا هو أكبر مجال بين الطبقات في حركة الحكاية إلا أننا نلاحظ أيضاً أن الحكاية تصعد من أسفل إلى أعلى ، وذلك بعد أن تمرّ بمرحلة التدوين ، كما حدث لأغلب المجموعات القصصية المجموعة من العجائز والبيوت ، فهذه حكايات الأخوين « جريم » تشتهر بين الخاصة شهرة فائقة تحمل شاعراً عظيماً مثل « جوته » أن يستلهمها ويتأثر بها في أقاصيصه »<sup>(٤)</sup> .

وهكذا نرى أن هذه الحكايات تمثل البيئة القطرية تماماً بكل ظروفها وبيئاتها ، صحيح أنهم في بعض الروايات ، أدخلوا وسائل الحضارة الحديثة ، غير أن هذا لا يخرجها عن طابعها الأصيل ، إلا أنه

(١) هي كهرب ولكنها أصيب بتقديم مخرج الرء على الهاء ، نظراً لعدم التعليم .

(٢) د . عبد الحميد يونس - الحكاية الخرافية .

(٣) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٣٥ .

(٤) د . سهر القلماوي - مجلة عالم الفكر - العدد الأول - المجلد الثالث - ص ١٢٣ .

أثر لا بأس به من آثار المظاهر الحضارية والثقافية على رواية الحكايات .  
لقد تباين الناس في الرواية فمنهم الجاف ومنهم المخلص ، وذكروا الكسندر هجرتي كراب<sup>(١)</sup>  
بأهل اسبرطة بأنهم كانوا يفتقرون إلى فن الرواية ويعترفون بافتقارهم إليه ، ويمجدون جفاف الموهبة ،  
إذا شئنا أن نستخدم هذه العبارة . على حين امتاز قدماء العبريين في فن الرواية ، وكذلك العرب وبعض  
الأمم الأوروبية ، وكان من أثر ذلك أن راح الذين يملكون هذا الفن يعطون من لا يملكون ، ويتبادلونه  
مع الآخرين ممن ينشئونه .  
وتتبادر الأمثلة المختلفة على الذهن ، فحين ذهب هيرودوت إلى أثينا قوبل بالاعجاب ، على حين  
لم يكن ينال مثل هذا الاعجاب في وطنه أيونيا .  
هذه هي طوابع البيئة على الحكاية عبر الزمن ، وهذه هي آثار القوى الابداعية في الشعب والتي  
تظل مجهولة ولكنها كالروافد التي تصب في نهر الحكاية العظيم ، الذي يفضي إلى بحر الثقافة  
البشرية ، فيسهم في دراستها في القديم والحديث . وتوظف الحكايات في جميع مناحي الحياة  
القطرية ، في الأخلاق والتربية والتسلية والتنبيه والتحذير وما إلى ذلك من مجالات وظيفية .

---

(١) الكسندر هجرتي كراب - علم الفولكلور - ص ١٩٠

## الباب الثاني

أصول وأنماط ووظائف القصة الشعبية القطرية



# الفصل الأول

## أصول القصة الشعبية في المجتمع القطري

### ١ - أصول عالمية مشتركة :

- الديانات البدائية ، الروحانية ، الطوطمية .
- الفيتشية ، الشامانية
- السحر
- الأحلام الطبيعية
- الحلم الاصطناعي ورؤى مرضى العقول والمصابين بالصرع
- العادات والطقوس

### ٢ - العوامل المحلية (مصادر التراث العربي القديم)

- الكتب العربية المدونة ، الأغاني ، الحيوان.
- العقد الفريد ، عيون الأخبار ، بلوغ الأرب
- في معرفة أحوال العرب ، المستطرف .
- الكتب غير العربية ، كليله ودمنة ، ألف ليلة وليلة
- السير والملاحم الشعبية
- النوادر والملح



## أصول القصة الشعبية في المجتمع القطري

ترجع القصة أو الحكاية في المجتمع القطري كغيره من المجتمعات الأخرى إلى أصول عالمية مشتركة ، ورثتها الأجيال عن الأمم البدائية ومعتقداتها الدينية الفطرية بما فيها من ديانات قديمة جداً وأساطير نتجت من هذه الأديان السماوية المعروفة لنا .

وترجع أيضاً إلى عوامل محلية بيئية من أثر البيئة الزمانية والمكانية التي تؤثر فيها تأثيراً واضحاً ، بما نشأ عند الناس من مواقف معينة تجاه حياتهم الواقعية وما يحيط بهم من ظروف وتحديات <sup>(١)</sup> .

« لذلك تشترك أغلب الحكايات الشعبية ومنها الخرافية في الأحداث والأفكار والأبطال ، حينما ترجع للأصول القديمة الأولى ، وليس غريباً على هذا الأساس أن نجد حكاية واحدة تروى بشكل مقارب جداً في مكان آخر من العالم لم تقم بينه وبين المكان الأول أية روابط تاريخية ، وأما البعد الجغرافي بينهما فهو أبعد وأبعد » <sup>(٢)</sup> . « وهي إن لم تشترك في هذه الأمور الكثيرة الواضحة فإنها تشترك بشكل واضح أيضاً في أمر أكثر تأثيراً في التقارب بينهما ، وهو الجزئية القصصية المتكررة أو ما يسمى بالموتيفة . تشترك الحكاية في ذلك وتختلف في الملامح المحلية التي تتأثر بالبيئة والمناخ ومناحي العيش والظروف الطبيعية والاجتماعية » <sup>(٣)</sup> .

فمن مصادر أو أصول الحكاية في مجتمعنا القطري ، الديانات البدائية القديمة التي خلقت نمطاً من الحكايات ظل أثرها إلى يومنا هذا ، يتناقلها الناس عبر الزمان في مجتمعاتهم للتسلية والتسرية : وقبل أن نشرع في دراسة هذه المذاهب أو الديانات ، يحلونا أن نتعرف على الأسطورة ، بوصفها شكلاً أدبياً شعبياً ، ومدى ارتباطها بهذه الديانات ، وهل هي السابقة أو اللاحقة لها ؟ .

فالأسطورة <sup>(٤)</sup> : « هي الوسيلة التي حاول الإنسان القديم من خلالها أن يضيفي على تجربته طابعاً فكرياً ، وأن يخلق على حقائق الحياة العادية معنى فلسفياً ، وبدون هذه الصورة الأسطورية المتكاملة تظل التجربة النفسية مهووسة ، كما تظل الظواهر الكونية ظواهر متناقضة ، ويمكننا أن نقول بشكل آخر الأسطورة إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي ، والغرض من ذلك هو حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق ، فالإنسان مطمئن إلى النهار الذي تنتشر فيه أشعة الشمس ، أما الظلام والليل فهو يخشاهما ، ولهذا فقد قدس الشمس وعدّها إلهاً خيراً ، في حين أنه عدّ الظلام كائناً شريراً ، ولكن لا

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢م .

(٢) الأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، منها : « حكاية الأخ المنقذ » ، « حكاية أولاد الملك السبعة » إذ يتأمر عليه إخوته برغم كل أسباب النجاح الذي حققه ولم ينقذه من ذلك إلا القوى الغيبية ، وحكاية « المهر المتكلمة » الخ .

(٣) بنية الناصري - مجلة التراث الشعبي العراقية - العدد ٧ ، ٨ - ١٩٧١م ص ١٢٠ .

(٤) د . نبيلة إبراهيم - البطولة في القصص الشعبي - مجلة التراث الشعبي العراقية - العدد التاسع - السنة العاشرة - بغداد - ١٩٧٩م ص ٢٢٠ .

مفر من وجوده ، ومن ثم فقد حكى - بدافع الرغبة في الطمأنينة والهروب من الخوف - قصة الصراع الدائب بين الإله الخير وهو الشمس والإله الشرير وهو الظلام ، ويظل هذا الصراع دائبا بين الطرفين مادام الليل والنهار متعاقبين .

وفي هذا تشبه الأسطورة الحلم من حيث أنها إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي . فالحلم يجسّد ما في النفس من دوافع الخوف والرغبة في شكل صور ورموز ، فإذا بالمشكلات الداخلية المعقدة تتحول من تلقاء نفسها إلى موضوع حكاية تبدو مستقلة عن الدوافع الداخلية كما هو الحال في الأسطورة .

ولما كان الإنسان البدائي يتقرب للآلهة التي تمثل الظواهر الكونية أو يقلدها ، إذن فالأسطورة هي حكاية هذه الطقوس ، وما كان يصاحبها من أقوال . فإذا عرفنا أن الآلهة التي كان الرجل البدائي يحكي أفعالها أو يتقرب إليها ، هي بعينها المظاهر الكونية المتعددة التي يراها أمامه مثل الشمس والظلام والشجر والرياح والزوابع إلى غير ذلك ، فربما دفعنا هذا إلى التساؤل عما إذا كانت هذه الظاهرة تمثل المرحلة الأولى للديانات الأولية . وقد انتهى الباحثون<sup>(١)</sup> ، إلى أن هناك أشكالا أخرى للديانات سبقت هذه المرحلة ، تتلخص في الديانة الروحية Animism والفتيشية Fetichism والطوطمية Totemism وغيرها كالشامانية ، وسنبحث كل واحدة على حدة وأثرها في قصصنا الشعبي حيث تركت هذه الديانات أثرا واضحا في موضوعات الحكاية الخرافية وغيرها .

ومن أقدم هذه الديانات المذهب الروحاني الذي اكتشفه تايلور<sup>(٢)</sup> . « وتمثله بعض المعتقدات عند شعوب جنوب غربي أفريقيا من أن للإنسان أربعة أرواح ، واحدة تعيش للأبد ، وثانية تتقمص حيوانا بعد موت صاحبها ، وثالثة تبقى في ظل الجسد ، ورابعة هي روح الأحلام . وتختفي عندما يستيقظ الإنسان من النوم<sup>(٣)</sup> .

« ومن هذا المذهب أيضاً تقمص الروح للطبيعة ، حيث تصير قوى الطبيعة شخوصا ، كأن تتكلم الشجرة مثلا أو تخاطب الشمس وترد الخطاب إلى المتكلمين من البشر ، وقد تتقمص الروح صورة فأر أو عرس أو حية أو طائر<sup>(٤)</sup> أو إبرة أو برمة أو أصبع كما في حكاية « البرمة » وحكاية « الإبرة ابيرة » وحكاية « البنت الاصبع » .

أو تتحول روح الأم إلى هاتف يهتف ويقول في حكاية « سرور » القطرية : « لا بارك الله فيك ، قطعت على صلاتي سرور ذبحته مرة أبوه ، وعشت به خطار أبوه ، ودفنت كرعانه تحت مرتبط خيل أبوه .

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) فون دير لاين - نفسه - ص ٦٨ .

(٣) د . فؤاد حسنين على - قصصنا الشعبي - دار الفكر العربي ١٩٤٧م - ص ١٣ .

(٤) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ٦٩ .

وكانت تقول هذا القول وتبكي ، فأعاد العبد الصراخ على سرور ، فإذا بالهاتف يعيد ما يقول مرة أخرى .

وهذا ما يطلق عليه عند العرب في القديم اسم الهامة ، وهو طائر صغير يأتي إلى الأحياء ليزورهم ، أو صدى يظهر على القبور مناديا من يأخذ بثأره وهي في كلا الحالين روح القتيل أو قريبه .  
أما في حكاية « فطوم وبن السّور » فقد تكلمت الشجرة حين تقمّصت روح العجوز الشجرة وجذوعها .

إن الاعتقاد في تقمّص الروح للطبيعة انتشر انتشاراً مذهلاً ، وهو ما يزال يعيش حتى اليوم . وتقابلنا أمثلة وفيرة له في حياة الأطفال عندنا في قطر بصفة خاصة . فالأشياء بالنسبة لتصورهم تتقمّصها أرواح في وسع الإنسان أن يتحدث معها وهي إما خيرة وإما شريرة ، فإذا ما سقط الطفل فوق حجر ، فإن هذا من فعل الحجر . وكذلك فإن الطفل يعاقب الحجر بالضرب ، أو يعاقب الكرسي أو الطاولة أو أي شيء يقع عليه . وإذا ما اقتلع ضرره <sup>(١)</sup> فإنه يخبئه حتى تظهر الشمس فيرميه إليها قائلاً : « يا شمس يا شمسومة ، خذي سن الحمار واعطيني سن الغزال أو العروسة » . وهو بهذا الأمر يكون قد أضفى الحياة على الشمس ومنحها قوة تستطيع بواسطتها تغيير الأمور .

وزيادة في الإيضاح نضرب المزيد من الأمثال ، ففي حكاياتنا أيضاً ، نجد عظام البقرة قد تجمعت ورددت إليها الروح وانكست باللحم وعادت كما كانت من قبل في حكاية « البقرة التي خرجها تمر ويولها لبن » <sup>(٢)</sup> وقد استطاع الباحث أن يجد لها روايتين فيهما بعض الاختلاف سنذكره بعد الانتهاء من النص المشترك .

تقول القصة : « ما جاكم إلا ذيك العائلة ، ربال وزوجته وولده وبنته غايشين عيشة سعيدة . وفجاء جاءهم الموت وكدر صفوهم ، ماتت الزوجة فحزنوا عليها كثيراً ، وبكوا كثيراً ولكن عمر الدموع ماترد اللي راح . مرّت السنون وتيّوز ( تزوج ) الربال . ومن سوء حظ اليهال ( الجهال ) ، كانت امرأة ابينهم شريرة ، ماتحبهم ، وجارت عليهم ، لين ظهر ابوهم ( خرج ) طقتهم ( ضربتهم ) ولين طبخت الغداء ماتعطهم إلا فضلات الطعام . وكان عملهما أن يذهبا مع الغنم ليرعاها من الصباح حتى الغروب ، ساءت صحة الولد والبنت فذهبا الى بقرتهما اللي تركتها الأم لهما وقالا لها : يابقرتنا غدينا من خيرك فتعطيها من لبنها لبنا زينا مع زبدة ، ومن روئها تمر إخلاص طيب فيأكلان حتى يشبعا ، ولين جاء

---

(١) وقد ورد في هذا الأمر في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للشهاب التويري - السفر الثالث - الطبعة الثانية ١٩٣٠م - ص ١٨ قوله : « إن الغلام إذا ثغر فرمى سنّه في عين الشمس بسبّابته وابهامه وقال : أبديني أحسن منها ، أمن على أسنانه من العوج والفليج ، قال طرفة :

داته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الأثر

(٢) عايشة شبيب المناعي - أبو ظلوف - ١٠٥ سنة .

المغرب يسألانها العشاء فتعشييهما من لبنها وتمرها ، ومع الأيام احمرت خدودهما وزان وجههما وردت عافيتهما . وإذا رجعا حق البيت قالت لهما زوجة أبيهما : تعالا للعشاء فأنتما لم تتغذيا إلا خبزاً يابساً وماء من اللي أعطيتكما إياه في الصباح . قالا : لاحتنا شبعانين ياعمه .

وفي رواية لخليفة السيد يقول فيها : « لين ضررس طاح نقول : ياعين الشمس هاك سن الحمار وعطينا سن الغزال ، ونقطه فوق الدار مع طعامة ، ونضع الملح مكان الضررس المخلوع كي تشرب الدم » .

وفي رواية أخرى لعبد الله قافود يقول : « إذا طاح الضررس ناخذ سبعا من الدمن (الروث) مال الغنم أو سبع حصايات ( حصوات ) ونقطها بعيداً » .  
أما الضررس الذي يطيح في الليل في أثناء الحلم : فيعني أنهم سيسمعون خبراً سيئاً أو أن أحداً من الأهل سيموت .

واستغربت زوجة الأب من هذا الأمر وقالت : يارب من وين لهما كل هالعمر ( الجسم ) وهالصحة .

وفي الصباح طرشت ( أرسلت ) معهما أخوهما ( إبنها ) وطلبت منه أن يذكر لها كل ما يراه ولين جاء وقت الغداء ، وعدا أخاهما أن يعطياه من غداثهما بشرط الا يحكي لأمه ، فوافق الأخ وأكل تمرأ وشرب لبناً ، وعندما عاد لم يذكر شيئاً لأمه حين سألته ، وفي اليوم الثاني طرشت معهما أختهما ( بنتها ) وسألاها كما سألا أخاهما من قبل وأطعماها تمرأ وسقياها لبناً لكنها أخبرت أمها بالسالفة عند عودتها .  
وفي الصباح سوت الزوجة نفسها مريضة ، وأحضر الأب المطوع لها ليعالجها فاتفقت معه ليقول إن شفاءها بقرة صفاتها كذا وكذا يذبحها وتأكل منها وهي تشفى . ولما سمع الرجل ذلك أخبر أبناءه ، فرفضوا وجلسوا على بقرتهم . ثم قام الأب وذبح البقرة ، وبعد الذبح ، جمع العيال عظامها ورد الله فيها الروح وانكست باللحم اللي ما انطبخ ولا أكلته امرأة الأب . ثم شرد ( هرب ) العيال مع بقرتهم حق أرض ثانية علشان ينجون من شر أبيهم وامراته .

وعلم الأب فلحق العيال الذين هربوا مع أخيه وأختهم أبناء الزوجة . أما امرأة الأب وجماعتها فلقوا العيال في منتصف الطريق ، ويوم جاءوا بيون يمسون البقرة ، قالت لهم البقرة : عيوني شافت لك ، وقروني نطحت لك ، وإن قرئت مني في بطني أكلتك ، ويوم اقربت امرأة الأب منها انطحتها في بطنها وخلتها ميتة على الأرض .

ودرى الأب بالسالفة فزعل وايد علشان هو أهمل عياله ، وعاش الجميع مستانسين مع بقرتهم تطعمهم من لبنها وتمرها .

أما الرواية الثانية<sup>(١)</sup> فقد اختلفت عن الرواية الأولى في أن المرأة لحقت بهما وطالعت وين بيروحون ورأت البقرة وتعجبت من أفعالها ، بقرة تزق<sup>(٢)</sup> تمرا وتبول لبنا ، وطبها الحسد ( أصابها ) وقالت : ماعليه ، أنا سميت لكم ، وتمارضت ، حطت على ويها ( وجهها ) كركما حتى يصفرودهنت عمرها كله حطت تحت الفراش خبز رقاق ، وكلما تقلبت قام الخبز يسوي ( طرّع ، طرّع ) ورآها ريلها ، خاف عليها وقال لها : اشفيك يامرة ، عسى ماشر ، قالت : والله اني حاسة كني بموت ، عافيتي بايدة على ( منهارة ) روح ياريال طالع اليبيل ( الجبل ) إنشده ( إساله ) ، أشوفه شيقول ، قل له : مرتني مريضة ، وش دواها ، قال الريال : ( بعد اليبيل إشدراه ) ؟ ! قالت انت وش عليك روح شوفه والا بموت . قال لها : إن شاء الله . وسحب عمره وراح حق اليبيل ، وقال ( يايبيل مرتني مريضة ، صفرة وكلما تقلبت تطرقت عظام ظهرها ، شاسوي لها إلا اليبيل يرد عليه ويقول : ( عطوها كبدة بقرة صفرة وفي يبهتها صفقة بيضاء وبطنها أسود ) وناشده مرة ثانية فردّ اليبيل نفس الكلام الأولي . تذكر الريال بقرة عياله ، ورأى أنها توفي المطلوب وراح لعياله وقال لهم : إنه يبي ( يريد ) يذبح بقرتهم ، فبكوا وقالوا له : اشتر لها كبدة من السوق او حتى بقرة ، فقال : اليبيل طالب بقرة هاللون صفاتها ، اليهال ( الجهال ) ماصدقوا ، وقالوا : شلون يبل يتحككي ، وذهب الجميع الى اليبيل وذهب اليهال وراء الجبل ، فرأوا زوجة أبيهم مع عشيقها ( خويها ) يطلبون كبدة بقرة . ويوم شاف ( رأى ) الأبوماشاف ظهر ( أخرج ) سيفه وذبح الاثنين .

ومن أمثلة تقمص الروح في قصصنا أيضا ، شجرة الهمباية<sup>(٣)</sup> ( المانجا ) حين كانت تخاطبها البنت وتطلب منها ان تكت عليها الخير والشجرة تستجيب لندائها وتقول القصة : « كان ياما كان في قديم الزمان ، أبو عنده ثلاث بنات من زوجتين ، وهم ناس على قد حالهم ، وكل يوم في حزة الصبح يأخذن بعضهن هالبنات ويرحن بجفرائهن ( القفف ) على سيف البحر ويحضرن معهن من الحطب والفحم مايزيد عن حاجتهن . وفي يوم من الأيام قامت واحدة من البنات وابتعدت شوي عن أختيها ومشت بروحها وهي تنبش السيف ، وفي كومة رمل لقيت فصا من الزمرد ، فرحت به وايد ، ودفنت البنت هذا الفص في كومة من السماد على السيف وأخرصت على أنها ماتعلم أحد حتى اختيها . وصارت كل يوم تروح وتسقي الفص بالماء لين ماكبرت النبتة اللي صارت شجرة عودة وتحمل الخير الوايد . واصبحت البنت تروح تحت ظل الشجرة ( الشجرة ) وتقول لها : « فصيصة الهمباية » كتي علي من خير

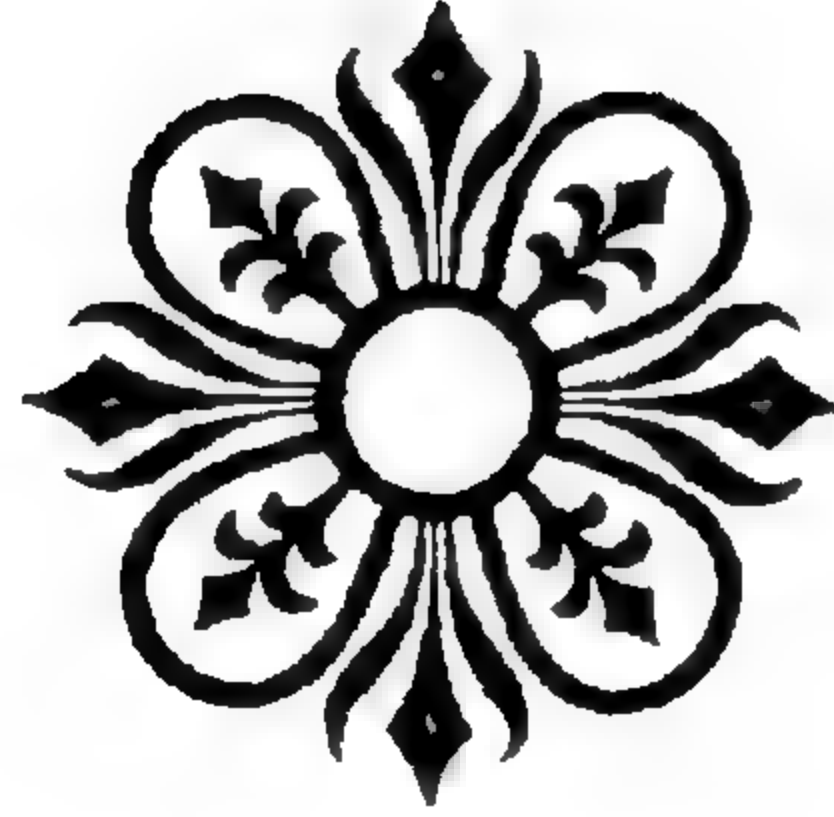
(١) عابشة الخليفة - الدوحة ( كلية البنات ) طالبة - ٢٥ سنة .

(٢) تزق : تخرج .

(٣) زليخة حسين - الدوحة - ٢٥ سنة .

الله وآتي « وهذه الشجرة العجيبة تنثر حقها البنت من الهمبة الزمرد مايترس ( يملأ ) الجفير ، وفي مرة من المرات رأى البنت ولد كان على البحر ، وحطّ باله عليها الين ما فهم شتقول . ولما ذهبت البنت ، راح الولد حق الشجرة وقال لها الكلام : يافصيصة الهمباية كتي عليّ من خير الله وآتي . ولكن الشجرة ماجاويت على الولد . ولما قدمت البنت في اليوم الثاني جودّها ( أمسكها ) وقال لها : قولي لها الكلام علشان تنزل لي همبة ، لكن البنت عاندت الولد ، وقام الولد من الغيظ قلع الشجرة من يذعها ( جذعها ) ووداها لبيتها ودفنها في أرضه ، ولكن الشجرة المسكينة من كثر ماكانت حزينة على فراق البنت ، ماتت وما بقي منها غير حطب يابس ماينفع الا حق الضوء (النار) . أبوي وابوك وأمي وأمك عساهم عمر طويل ، رحت وييت ماعطوني شيء .

وهكذا وجدنا الروح قد تسللت الى الفص الذي هو جماد وجعلته نباتا يانع الاوراق ، كثير الثمر من نفس مادتها الأولى وهو الزمرد الذي كانت تغدق به على من أحيّاها وغدّاها . ولكنها حين قلعت حزنت كثيرا وتحولت مرّة أخرى إلى جماد فأصبحت حطباً جافاً لا حياة فيه .



## الديانة الطوطمية

ومن الديانات القديمة « الطوطمية » تطلق كلمة طوطم التي تنسب إليها العقيدة الطوطمية أو النظام الطوطمي على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة رمزاً لها ، ولقبا لجميع أفرادها ، ويعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية ، وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس <sup>(١)</sup> .

« ويقصد من الطوطم الحيواني أو النباتي الفصيلة العامة التي ينتمي إليها الحيوان أو النبات لأفراد معينة أو أفراد معينين من أفرادها ، فحينما يكون طوطم العشيرة الثعلب مثلاً يكون المقصود فصيلة الثعلب على العموم لا ثعلباً معيناً أو ثعلاب معينة من هذه الفصيلة . فالعشيرة في هذه الحالة تعتقد أنها هي وفصيلة الثعلب من طبيعة واحدة أو ما يشبه الأسرة الواحدة ، وتتخذ الثعلب رمزاً لها ولقبا لجميع أفرادها ، وتنزله منزلة التقديس » <sup>(٢)</sup> .

« والطوطم من حيوان أو نبات يساعد عشيرته ضد عوادي الطبيعة من الزلازل والفيضانات ، مما جعلهم يبالغون في احترامها ، فاتخذ بعضهم رأس بعض الحيوانات شعاراً مقدساً لها أصبحوا يعرفون به ، واتخذ بعضهم الآخر بعض الصور النباتية شعاراً آخر » <sup>(٣)</sup> .

« اذن فالطوطمية مازالت تحيا كرموز ذهنية بدائية - تحت مختلف الأشكال المتكاثرة لحياتنا الحديثة ، فأنت تجدها اليوم في أعلام وشارات الدول الحديثة ، كما تجدها تطل برأسها في الملابس والماركات التجارية تماماً كما وجدناها عند الهندي الأحمر وغيره من الأجناس » <sup>(٤)</sup> .

فعلى سبيل المثال نشاهد في هذه الأيام ، الهندي الأحمر في حلبات المصارعة الحرة يلبس ريش النسر على رأسه ويضع على جسمه بعض رسومات النسر أو غيره من الطوطم ، ويحدث حركات برجليه كالنسر وأصوات بقمه كطوطمه الذي يعتمد عليه .

« إن قدسية الطوطم منتشرة في جميع أجزاء الجسم وغيره . ولكنها أظهر ماتكون في نظر هذه العشائر ، في دم الإنسان وشعره . ومن ثم كانت الدماء والشعور من أكثر عناصر الإنسان استخداماً في الطقوس والشعائر الدينية عند هذه العشائر . كما أن أجزاء جسم الإنسان ليست سواء في مبلغ قدسيتها ، فإن أفراد العشيرة أنفسهم ليسوا سواء في ذلك . فمبلغ القدسية في الرجال يزيد كثيراً عن مبلغها في النساء . وكبار العشيرة وشيوخها وسحرتها وأطبائها وكهنتها يعتبرون أكثر قدسية من غيرهم » <sup>(٥)</sup> .

(١) د . علي عبد الواحد وافي - الطوطمية أشهر الديانات البدائية - بيروت ١٩٧٨م - ص ١١ .

(٢) د . علي عبد الواحد وافي - نفسه - ص ١٤ ، ١٨ ، ٢١ .

(٣) د . فؤاد حسنين علي - قصصنا الشعبي - ص ٨ .

(٤) شوقي عبد الحكيم - الفولكلور والأساطير العربية - بيروت ١٩٧٨م - ص ١٠ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

« والحديث عن قوة الحيوان أو النبات تقود الى حكاية الحيوان التي تعتبر أقدم ألوان الحكاية الشعبية رغم أن حكايات الحيوانات ليست بالضرورة نابعة من العقيدة الطوطمية ، فلقد راقب الإنسان الحيوان واستكشف الكثير من غرائبه ، وأمثلة حكايات الحيوان التعليلية المفسرة معروفة في الرواية المتناولة لدى الشعوب جميعاً »<sup>(١)</sup>.

وبهذا تختلف الطوطمية عن عبادة الحيوان أو النبات ، فأفراد العشيرة الطوطمية لا يقفون حيال طوطمهم كما يقف عابد الحيوان أو النبات حيال معبوده ، فهذا يعد نفسه من طبيعة بشرية تختلف اختلافاً جوهرياً عن طبيعة معبوده ، ويعتبر نفسه شيئاً حقيراً إذا قيس بالآلهة ، على حين أن النظام الطوطمي يجعل الإنسان نفسه من طبيعة طوطمه ويضفي عليه قدسية هذا الطوطم ، فالعلاقة بين أفراد العشيرة وفصيله طوطمها ليست علاقة عباد بالآلهة ، بل علاقة أقرباء تربطهم بعضهم ببعض وشيجة الدم ولحمة النسب الوثيق .

« والحيوان في حكاياتنا الشعبية له دور بارز ، فهو الذي يساعد بطل القصة في الوصول الى أهدافه ، ولولا مساعدته فإنه يقف عاجزاً لا يستطيع عمل شيء ، حتى إن هذا البطل بالنسبة للحيوان يعتبر شخصاً من الدرجة الثانية في التأثير في مجريات الأحداث »<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الملاحظ في قصصنا أن الحيوان يتصرف كالإنسان في منطقته وتفكيره وحتى عمله ، وليس فيه ملامح الآلهة وشطحات الأسطورة ، كما كان موجوداً في السابق عند البدائيين ، بيد أنه لا يتخلى عن وسيلته السحرية في التصرف والوصول إلى الأهداف ، فقصة « فرس الجان » السالفة الذكر تعطي البطل شعيرات ويعيرات ليحرقها وقت الضيق حتى تهب لنجدته أو تلبي أغراضه أو أي تصرف تراه مناسباً لإنقاذ صاحبها . وقد تكرر هذا عن طريق الشعرات أو البؤرة السحرية في رواياتها المتعددة .

ولنجلو الأمر أكثر ، نذكر مزيداً من القصص الشعبي يساعد فيه الحيوان صديقه أو يكشف أمراً معيناً فيه فائدة لهذا الإنسان أو ذاك ، كما في القصص الآتية التي سنذكرها تباعاً .

فقصة أو حكاية « أخت البحار »<sup>(٣)</sup> تحكي : « صلوا على النبي ، كان هالبحار ، يصيد السمك ، وفي صباح يوم ذهب مبكراً وأخذ يصيد الى أن اصطاد كمية من السمك وعاد أدراجه إلى البيت في وقت الظهر والشمس حارة ، وبينما هو كذلك ، سمع في الطريق صوتاً يقول له : « ياريتال يامريلة ، ياللي تمشي بعيلة ( عجلة ) سلم على حلقة بنت ملكة ( اسم واحدة ) وقول لها : أختك ولدت في وادي الخيفتان »<sup>(٤)</sup> وتكرر عليه الصوت في غير مرة ، ولما التفت لم يجد أحداً ، ثم دلف إلى بيته

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم ص ٧٩ .

(٢) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ٧٨ .

(٣) سعيدة بنت مبارك - الدوحة ( كلية البنات ) - طالبة - ٢٧ سنة .

(٤) الخيفتان : وادي البحرين .

وتناول غداءه وقعد ( جلس ) مع أهله يسولف وحكى لهم السالفة اللي سمعها ، ولما سمعت القطورة ( القطعة ) اللي في البيت ، ركضت إلى وادي الخيفتان حق أخته وغابت . فقد الأهل القطورة وبحثوا عنها في كل مكان فلم يجدوها ، وبعد أربعين يوماً ، رجعت القطعة وكانت راعية البيت راقدة فسمعتها تقول في الليل « نافلة نافلة » ، أنا رحت أنفُس أختي في وادي الخيفتان ، ثم عدت ، وخلصت ما عطوني شيء » .

أما قصة « الكنعدة »<sup>(١)</sup> فتذكر : « صلوا على النبي ، كان لامرأة ولد واحد ، يروح كل يوم إلى البحر ويصيد السمك . وفي يوم صاد سمكة ودزها حق الشيخ فأخذها الشيخ لزوجته التي كانت تستحي من الرجال ، وصدف أن كانت العجافة »<sup>(٢)</sup> رجلاً متخفياً بشباب امرأة . ولما رأت السمكة العجافة تعجف لزوجته الشيخ شعرها ضحكت . فتعجب الشيخ من السمكة ، مما جعله يطرش ( يرسل ) حق الولد الفقير الصياد وأمه ، ثم طرّش على العجافة وزوجته وعزمهم على كَشْتَة<sup>(٣)</sup> في مزرعة وكان هناك بركة ماء ، فأمر الشيخ أن يتسبّح الجميع في البركة . نزل الولد والأم ثم الشيخ وزوجته ، ولم تنزل العجافة فقالت لها زوجة الشيخ طُبي ( انزلي ) لكنها عاندت ورفضت إلى أن عرفها الجميع أنها رِيَال ( رجل ) فتبسمت من العجب وقالت : « الحيا يامرخة ( امرأة ) تستحي من المرأة ، تحاكي الريال وتستحي من الفرخة » .

ونختم الأمثلة بقصة « الطير الأخضر »<sup>(٤)</sup> حيث تحكي : « صلوا على النبي ، كان هالولد وأخته يتيمين ، وهويحب أخته كثيراً ، بحيث لا يرفض لها طلباً ، وفي يوم طلبت أخته منه أن يحضر لها الطير الأخضر ، فقال لها . إنزين ، بس وين أحصله ؟ أنا عمري ماشفت طيراً أخضر ، ولكن سأعمل المستحيل لإيجاده . وذهب الولد من مكان إلى مكان يدور على الطير الأخضر ويسأل كل من يلقاه في طريقه إلى أن وصل إلى بلد فلقى شخصاً وسأله عن الطير الأخضر ، فقال له : تلقاه في البستان العود<sup>(٥)</sup> اللي في آخر المدينة ، روح له في الظهر وخذ معك خروفاً مشويا ، فهويحب أكل اللحم المشوي ، راح الولد في الموعد وأخذ معه الخروف وربطه بحبل وحطه على شجرة وأمسك بطرف الحبل وانخس ( اختبأ تحتها ) . ويوم قعد شوي ما رأى إلا ظلالاً تغطي السماء . رفع رأسه فرأى طيراً عوداً اخضراً يتنقل من شجرة إلى شجرة ، ثم لمح الخروف وانقض عليه وأمسكه بمخالبه . قام الولد وأمسكه وربط رجله بالحبل وأخذه حق أخته . فرحت الأخت عندما رأت الطير الأخضر وأشكرت أخاها ( شكرت ) .

(١) سعيدة بنت مبارك - الدوحة ( كلية البنات ) - طالبة - ٢٧ سنة .

(٢) العجافة : المرأة التي تصفف الشعر .

(٣) كَشْتَة : نزهة ، رحلة .

(٤) عابشة عبد الغني - الدوحة - ٦٠ سنة .

(٥) العود : الكبير .

وأصبحت كل يوم الظهر ، تتركب على ظهر الطير ويطير بها من مكان إلى مكان إلى أن تنزل بيت السلطان في حديقة القصر ، فتجد غداء ولد السلطان مَجْهَوزاً ، فتأكل منه لين ( إلى أن ) تشبع وتركب طيرها وترجع . وحين يأتي ولد السلطان يجد الغداء ناقصاً فيغتاز على خدامه (خدمه) ويتهمهم فيه . وفي يوم قال لهم ، برزوا (جهزوا) الغداء ولما جُهِزَ الغداء انخس (اختبأ) في الحديقة ليرى من يأكل طعامه . وفجأة رأى طيراً كبيراً يحط في الحديقة وعليه بنت حلوة ، نزلت وأكلت من كل شيء ، ويوم يات (جاءت) تروح أمسكها ولد السلطان من يدها ، وقال لها : قولي لي من أنت ومن بنته ومن وين بيتي (أتيت) ؟ فقالت له عن كل شيء ثم أعجبت فذهب حق أخيها وخطبها منه وتزوجها ، وعاشوا في سعادة هي وزوجها وأخوها ، ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ماعطونا .

وهكذا لاحظنا من خلال القصص الثلاث أن الحيوان قد تصرف كالإنسان في منطقته وتفكيره وضحكه ومساعدته . فقد فهمت القطة كلام الرجل وذهبت بسرعة لتنفيس أخت الصياد وعادت بعد أن قدّمت المساعدة المطلوبة وأخبرت أهل البيت بما حصل . كما أن الكنعنة (السمة) ضحكت لما عرفت أن العجافة رجلاً ، وبهذا العمل أمّطت اللثام عن سرّ ربما يؤدي إلى التهلكة واحلال الشرف في زوجة الشيخ . وأخيراً ، عمل الطير الأخضر من نفسه وسيلة تنقل للبت حتى تحقق جميع مآربها وبقي معها إلى أن تزوجت ولد السلطان .

إذن فقد استطعنا من خلال التطبيقات القصصية أن نلمس الأثر الطوطمي الذي حمل إلينا عن طريق الرواية ، وقد ظهر في بعض تصرفاتنا وتعليقاتنا وقصصنا ، فالقصة التعليلية أو المفسرة واضحة في هذا المجتمع كتفسير ظاهرة مؤخرة القرد مسلوخة ، بسبب أن الأم مسحت فضلات ابنها برغيف خبز ساخن ، فغضب الله عليها وسلخ مؤخرة ابنها ، ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا وهو بهذه الصورة . وكذلك الصقر الذي أورد حكايته «خليفة السيد» حين قال<sup>(١)</sup> : « إن الملك سليمان أعجب به لأنه يحافظ على أبيه الطاعن في السن ، فكافأه على ذلك ببقاء الريش على جسده إلا من موضع يده على رأسه ، فيرى حتى اليوم وقد سقط عنه الريش . وكذلك حكاية خلق الخنزير والفار وغيرها السالفة الذكر .

والحكايات والأساطير التعليلية كثيرة في كل مجتمع قديماً وحديثاً وهي تبرير لظهور البدايات والأوليات ، كما في الأسطورة التعليلية لحبه الفاصوليا<sup>(٢)</sup> وفيها يحاول الإنسان البدائي عن طريقها أن يعلل ظاهرة تسترعي نظره ولكنه لا يجد تفسيراً مباشراً ، ومن ثم فهو يخلق حكاية أسطورية تشرح سر وجود هذه الظاهرة .

(١) خليفة السيد - الدوحة - موظف - ٤٠ سنة .

(٢) د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص ١٨ .

وتتركز الأسطورة التي أوردها الطبري<sup>(١)</sup> في أن إبليس عرض نفسه على دواب الأرض في أن تحمله لكي تدخله الجنة ، بعد أن منعه رب الجنة من دخولها ، فكل الدواب رفضت ذلك ، حتى كلم الحية فقال لها : إن أنت أدخلتيني الجنة ، أحملك من ابن آدم ، وتصبحين في ذمتي . وكانت الحية دابة لها أربعة قوائم كأنها البعير ، فجعلته بين نابين من أنيابها ، ثم دخلت به ، فكلّم إبليس حواء ، فكانت الخطيئة الأولى ، وعقابها المعروف وهو الطرد من الفردوس ، وإدعاء حواء الشهري المتمثل في الحيض ، وذلك العداء الرباعي بين الرجل والمرأة والحية والشیطان .

ويقال إن إبليس<sup>(٢)</sup> دعا الله قائلاً : يارب اخرجتني من الجنة من أجل آدم ، زدني ، قال الله تعالى : لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله . قال : زدني . قال : صدورهم مساكن لك ، وتجري فيهم مجرى الدم . قال : زدني . قال : اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد .

ولا تقتصر عقيدة الطوطم على تقديس الحيوان فحسب بل تتعداه إلى تقديس النبات ، وهذا ما يظهر واضحاً في حكاياتنا ، فهو يساعد على حمل العواقر وخاصة التفاح ، ويذكر ملخص القصة التي منسبها في الملحق « أن امرأة عاقراً لا تنجب اشترت تفاحاً للحمل ولما اكلته ، أخذ بطنها ينتفخ إلى أن أكملت الفترة ووضعت غلاماً فرح به والده بعد فترة طويلة من عدم الانجاب ، ولكن يد الزمن لم تكمل فرحتهما فاخطفه الموت وعادا إلى حزنهما » .

ومن الأشجار في الحكاية ما هو مُحَرَّم تناوله ، ومحاط بشتى المخاطر والحراسات ، فلا يصل إليه بطل الحكاية إلا بمساعدة قوى غيبية قادرة ، فلم يصل بطل قصة « رمان جدي » إلا بمساعدة الساحرات السبع . وكذلك الرجل الذي يجلس في القصر ، وعندما قطف الرّمّانات الخمس من الشجرة عاد ادراجه بعد أن تخطى كل المخاطر من السباع والضباع والساحرات .

وهكذا تركت هذه العقيدة بصماتها في حياتنا تماماً كما تركت هذا الأثر في سلالة أنساب القبائل العربية وغير العربية . فمن القبائل العربية مثلاً كلاب وأسد وغيرهما .

---

(١) الطبري - تاريخ الرّسل والملوك - ج ١ - ص ١٠٦ .

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ج ١ - ص ١٨٢ .

## الديانة الفتيشية

ومن الديانات القديمة أيضاً الديانة الفتيشية ، وتمثل عقيدة الإنسان في أن كل الأشياء التي يمتلكها الإنسان أو أي كائن حي آخر تكون مملوكة لقوى الإنسان ، أو لقوى هذا الكائن ، ومن ثم فإن قوة الإنسان تستكن في ملابسه وفي حذائه وفي شعره وفي دمه وعظامه . وكل هذه الأشياء لعبت دوراً كبيراً في النتاج الأدبي الشعبي .

« وتؤكد هذه العقيدة أن الجزء يحمل خصائص الكل ويؤدي وظيفته على أساس أن الروح تظل حية في المادة التي تتقمصها ، مهما اعتري هذه المادة من تغيير وتحور »<sup>(١)</sup> .

فالشعر الذي يحتفظ به شخوص الحكاية من جنبي يظهر في شكل حيوان كأن يكون حصاناً كما في حكاية « الحصان الجني » أو « المهر المتكلمة » .

كل هذه المقادير من شعر هذه المخلوقات تحمل أرواحها ، وهي كافية لدعوتها من أمكتها البعيدة إذا أحرقت هذه الشعرات .

قالت الفرس للولد : عندما تريد شيئاً مني أوتقع في مشكلة ، خذ هذه الشعرات الثلاث أو العشر أو السبع بحسب روايات « المهر المتكلمة » - التي ستثبت جميعها في الملحق - وأحرقها حينما تقع في مأزق . وفعلاً أحرقها الولد وحقق جميع مآربه المطلوبة .

وأحياناً فإن خصلة شعر الفتاة أو شعرتها تجذب إليها من يراها من الملوك أو السلاطين ، فيندفع وراء الوصول إلى صاحبة الشعر مهما كلف ذلك من ثمن ، تماماً كما حدث في قصة « الأخ والأخت »<sup>(٢)</sup> حين سقطت شعرة من شعر الفتاة في أثناء استحمامها في النهر وسارت إلى أن وقعت في يد الأمير الذي أصر على الزواج منها ، وقد تحقق ذلك بتسليط واحدة من بنات إبليس - كما يقولون - عنها ، أي المرأة .

وهذا يذكرنا بحكاية الأخوين المصرية<sup>(٣)</sup> ، حينما حمل تيار الماء خصلة من شعر هذه الزوجة حتى أوصلها إلى المكان الذي يغتسل فيه فرعون . فلما رأى خصلة الشعر لم يقر له قرار حتى تزوج بصاحبة الشعر .

تقول القصة :

« ان » « أنوب » كان يعيش مع أخيه « باتو » عيشة وئام إلى أن دب بينهما الخلاف بسبب زوجة أنوب ، وقد شاء أنوب أن ينتقم من أخيه بقتله ، غير أن بقرة ذات صوت إنساني حذرت باتو من هذا الأمر ، واستطاع باتو أن يهرب من أخيه ، غير أن أنوب عرف الحقيقة بعد ذلك وندم على فعلته .

(١) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ٧٢ .

(٢) سلطان الغانم - الدوحة - موظف - ٣٠ سنة . وهي مثبتة في الملحق .

(٣) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ص ١٥٥ .

واستطاع باتو أن يخبره بمصيره وهو أنه سوف يطرح قلبه بين براعم أشجار السدر ، وعلى أنوب أن يحضر إليه إذا مارأى الزبد يعلو الجعة في البراميل . فلما حدث هذا عند أنوب رحل إلى أخيه يبحث عنه ، فوجد قلبه في ثمرة ، فلما وضع الثمرة في وعاء فيه ماء ، عاد باتو إلى الحياة ووهبته الآلهة أجمل زوجة ليتزوج بها وحدث أن حمل تيار الماء خصلة من شعر هذه الزوجة حتى أوصلها إلى المكان الذي يغتسل فيه فرعون ، فلما رأى خصلة الشعر لم يقر له قرار حتى تزوج بصاحبة الشعر ، فلما خانت الزوجة زوجها حوّل باتو نفسه إلى شكل ثور حملة أنوب إلى فرعون ، ولما كشفت الزوجة عن حقيقة هذا الثور أمرت بقتله ، وتساقطت قطرتان من الدم نبتت منهما شجرتان . وكشفت إحدى الشجرتين عن نفسها للمرأة الخائنة ، فأمرت بقطعها ، فتطايرت شظية من خشبها إلى فمها ، وحملت عن طريقها وأنجبت ولداً هو باتو نفسه الذي أمر بشنق الزوجة الخائنة وعلا العرش حينما شب عن الطوق .

وكما حملت الشعرة روح وكيان وقوة صاحبها ، وكذلك حملت الصورة هذه القوة . وهذا يفسر لنا صعوبة أخذ الصور لكبار السن في قطر ، حين حاول الباحث أن يأخذ مثل هذه الصور ، امتنعوا إلى حد الرفض ، مما حدا به أن يسألهم عن السبب ؟ - وقد قرب ذهنه أنه سبب مادي ، أي يريدون مالا - فقال بعضهم : نحن لا نفرط بصورنا فهي عزيزة وغالية علينا ، فعرف الباحث إنهم يخافون من السيطرة عليهم حين تؤخذ صورهم .

والقصة التالية<sup>(١)</sup> تبين هذا الموقف فتقول : صلوا على النبي ، ماجاكم إلا هالريال عايش في الصحراء ، وفي يوم جاء إليه بعض الشباب يطلبون منه ماء وأكلاً فأعطاهم ما يريدون وأكرمهم غاية الإكرام . وبعد أن استراحوا ، أخرج أحدهم آلة تصوير كانت معه وحاول أن يأخذ عكساً ( صورة ) لهذا الرجل المضياف . لكن الرجل رفض ذلك وقال له : خلك من هالسوالف ، أنا ما أحد يضحك علي ويأخذ صورتي ، ولا يمكن أن أسمع لأحد أن يسيطر علي . وأنت الآن ضيفي ومن واجب الضيف أن يكون أديباً في بيت مضيفه ، فأنزل الرجل الكمرة ، وتأسف له وشعر أنه أساء إليه بهذه العملة وانصرف مع جماعته شاكرين له حسن ضيافته ، إلا أنهم مندهشون للذي حدث .

أما عن إحراق الشعر أو أخذ الأثر ، فقد شاهدته الباحث عن قرب فحينما يصاب طفل بمرض ويعتقد أبواه بأن فلاناً أو فلانة أصابته بالعين ، تعمد الأم أو الأب بأخذ أثر من الذي أصاب إبنهما بالسوء ، كأن يأخذان من شعره شعرة ويحرقانها أو يقصان قطعة من ثيابه ويحرقانها أو يدفنانها تحت الأرض اعتقاداً منهما بأن أخذ جزء أو أثر من هذا الشخص الحاسد أو الناظر سيقضي على قوته ، ومن ثم لاتصيب العين الطفل وتؤذيه .

---

(١) عبد الله سعد الشاعر - الخور - ٦٠ سنة .

فالسيطرة على الجزء هي سيطرة على الكل ، إذ أن الجزء يحمل روح وصفات وكيان الكل . وهذه العادة تقريباً منتشرة في جميع أرجاء العالم العربي وكذا الأقطار الأخرى . وقد تعرضنا لها من قبل في الباب الأول بشئ من التفصيل .

« وقد يكون للأسماء بناء على هذه العقيدة ، قوة أصحابها ، فلم يفتح الكثر أمام علي بابا في حكاية ألف ليلة وليلة إلا حينما هتف بإسم سمسم ، فقال : إفتح ياسمسم واغلق ياسمسم ، فكانت هذه الكلمة مفتاحاً سحرياً للكثر<sup>(١)</sup> وقد يشبه ذلك في قصصنا « قصة شجرة الهمبايا » حين كانت البنت تناديهما وتقول لها : كتي علي من خير الله كتي والشجرة تستجيب لها » وكذلك في قصة فسيجرة « حين كانت الفتاة تنادي السمكة وتقول لها : « يايمه يافسيجرة ، أنا في ضيق ، فكانت تأتي وتفتح لها مغاليق هذا الضيق .

« وهناك أحوال تتضح من خلالها العقيدة الفتيشية ، فغالباً ما يستعصي القضاء على الشيطان إلا إذا أصبته بسلاح معين ، وهذا يعني أن السلاح لابد أن تسكنه قوة خيرة تفوق قوة الشيطان ، أما القوة الشخصية لبطل الحكايات الخرافية فلا تؤدي دورها إلا في المرتبة الثانية<sup>(٢)</sup> .

لقد ظهرت عبارة باسم الله ، والتعوذ من الشيطان ، في معظم قصص الجان والغيلان القطرية ، فكانت المفتاح المعروف الى الخير والتخلص من الشر .

ومن هذه المعتقدات أيضاً ، القوة الكامنة الخاصة في بعض الأسلحة التي لا تقتل الغول أو المارد إلا بها ، وتكون هذه الأسلحة معلقة على جدران قصورهم ، ولا يستطيعون الحصول عليها إلا عن طريق الفتيات المحبوسات في تلك القصور .

وما قصة « الأخ الأصغر » وقصة « أولاد الملك السبعة » إلا دليل على ما نقول ، إذ نزل البطل تحت الأرض ودلته الفتاة على الغول فقام وقتله بسيفه الذي أعطته إياه الفتاة وخلص الناس من شر هذا الغول . وسنذكر هاتين القصتين كاملتين ضمن الملحق .

وهكذا نرى إن هذه العقيدة انتقلت إلينا عبر الأجيال ومن خلال المأثورات الشعبية ، ومازلنا نستعمل آثارها حتى يومنا هذا .

---

(١) عمر عبد الرحمن يوسف - الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني - ١٩٧٢ م .

(٢) فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د . نبيلة إبراهيم - ٧٠ ، ٧٧ .































































































































































































































































































































































































































































































































